

الوجيز في تاريخ الإسلام

محمود السيف

الجزء الأول

خلاصة لموسوعة تأريخ الإسلام
للسيّد منذر الحكيم

مركز المصطفى ﷺ العالمي للدراسات والتحقيق


بسم الله الرحمن الرحیم



مركز المصطفى العالمي للدراسات والتحقيق

سرشناسه: حکیم، سیدمنذر ؛ Hakim, Mundhir

عنوان قراردادی: تاریخ‌الاسلام .برگزیده.

عنوان ونام پدیدآور: الوجیز فی تاریخ‌الاسلام (خلاصه کتاب تاریخ‌الاسلام تالیف السیدمنذر الحکیم) / تلخیص محمود السیف.

مشخصات نشر: قم: مرکزالمصطفی العالمی للترجمة والنشر، ۱۳۹۲ -

شابک: ج ۱: ۳-۷۴۲-۱۹۵-۹۶۴-۹۷۸ دوره: ۶-۷۴۱-۱۹۵-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت‌فهرست‌نویسی: فیپا

یادداشت: کتابنامه.

یادداشت: عربی

موضوع: اسلام -- تاریخ.

موضوع: اسلام -- سرگذشتنامه.

موضوع: ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: سیف، محمود؛ Sayf, Mahmud

شناسه افزوده: حکیم، سیدمنذر . تاریخ‌الاسلام. برگزیده.

رده بندی کنگره: ۱۳۹۲ ۲۰۱۵ت۸ح/BP ۱۴

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۱۲

شماره کتابشناسی ملی: ۳۳۹۶۰۲۳

الوجيز في تاريخ الإسلام

الجزء الأوّل

محمود السيف



مركز المصطفى ﷺ العالمي
للدراسات والتحقيق

الوجيز في تاريخ الإسلام (الجزء الأوّل)

محمود السيف (هذا ملخّص لكتاب تأريخ الإسلام من تأليف السيّد منذر الحكيم(دام عزّه))

الطّبعة الأولى: ١٤٣٥ق / ١٣٩٢ش

النّاشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: زلال كوثر ● **السّعر:** ٧٠٠٠٠ ريال ● **عدد النّسخ:** ٣٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

- ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣. هاتف: ٦٦٩٧٨٩٢٠ ٢١ ٩٨+
- ايران؛ مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا عليه السلام، شارع دانش الشرقي، بين فرعي ١٥و١٧. هاتف: ٨٥٤٣٠٥٩ ٠٥١١ ٩٨+

miup@pub.miu.ac.ir pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

- مدير مركز النشر: محمد سعيد پناهي
- مدير الإنتاج: تورج روحاني
- المشرف على الإنتاج: جعفر قاسمي الأبهري
- المشرف الفني: محمدباقر شكري
- **مصمم الغلاف:** مسعود مهدوي
- **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله يزداني
- **الإعداد الفني:** السيّد محسن عمادي
- **الإخراج الفني:** السيّد جاويد حسيني
- **المراجعة والتقويم:** السيد عبدالهادي الشريفي
- **المقابلة الفنية:** السيد عبدالهادي الشريفي

كلمة الناشر

بسم‌الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين. وبعد

إنّ التطوّر المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الحديثة التي هيأت فرصاً فريدة للمعرفة الواسعة، ودفعت بعجلة الفكر والثقافة والتعليم إلى آفاق واسعة.

وغدا الإنسان يترقّب في كلّ يوم تطوّراً جديداً في البحوث العلمية، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطوّر الهائل.

وبعد أن بزغ فجر الثورة الاسلامية المباركة بقيادة الإمام الخمينيقدس‌سره، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، مما حدا برجال العلم والفكر في الجمهورية الإسلامية أن يعملوا على تحديث مناهج دراسية جديدة لعامّة الفروع الدراسية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية، والإسلامية بشكل خاص؛ فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في المناهج الدراسية في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

وفي ظل إرشادات قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي(مدّظله)؛ أخذت المؤسسات العلمية والثقافية على عاتقها تجديد المناهج الدراسية وتحديثها على

مختلف الصعد، بخاصة مناهج الحوزة العلمية، التي هي ثمرة جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية إلى تبنّي المنهج التعليمي الحديث في نظامها الدراسي، وفي مجال التأليف، والتحقيق وتدوين الكتب الدراسية لمختلف المراحل الدراسية ولجميع الفروع العلمية، ولشتى الموضوعات بما ينسجم مع المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمعرفة.

فقامت بمخاطبة العلماء والأساتذة، ليساهموا في تدوين كتب دراسية على الاسس المنهجية الحديثة للعلوم الإسلامية خاصّة، ولسائر العلوم الإنسانية: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير،والأصول،وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة، والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزات العلمية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعة المصطفى العالمية صلى الله عليه وآله إلى تأسيس «مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر» لتحقيق، وترجمة، ونشر كلّ ما يصدر عن هذه الجامعة الكبيرة، مما ألّفه أو حقّقه العلماء والأساتذة في مختلف الاختصاصات وبمختلف اللغات.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، **الوجيز في تاريخ الإسلام (الجزءالأول)** هو مفردة من مفردات هذه المنظومة الدراسية الواسعة، قام بإعداده الأُستاذ الفاضل الشيخ محمود السيف. ونودّ أن نشير إلى أنّ هذا الكتاب هو تلخيص لموسوعة تأريخ الإسلام، تأليف الأُستاذ الفاضل السيّد منذر الحكيم(دام عزّه).

ويحرص مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي على تسجيل تقديره لمؤلفه الجليل على

مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفي الختام نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة. للمساهمة في ترشيد هذا المشروع الإسلامي بما لديهم من آراء بنّائة وخبرات علمية ومنهجية، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليه من خطأ أو نقص يلازم الإنسان عادة، لتلافيهما في الطبعات اللاحقة، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي

للترجمه والنشر

كلمة مركز المصطفى ﷺ العالمي للدراسات والتحقيق

وضعت الحوزات العلمية ـ عبر تاريخها المجيد ـ مهمّة التربية والتعليم على رأس مهامها و جزءاً من رسالاتها الأساسية، الأمر الذي ضمن إيصال معارف الإسلام السامية وعلوم أهل البيت عليهم السلام إلينا خلال الأجيال المتعاقبة بأمانة علمية عالية، وفي هذا الإطار جاء اهتمام الحوزات العلميّة بالمناهج الدراسية التعليمية.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ التطوّر التكنولوجي الذي شهده عصرنا الحالي وثورة الاتصالات الكبرى أفرزتا تحوّلاً هائلاً في حقل العلم والمعرفة، حتى أصبح بمقدور البشرية في عالم اليوم أن تحصل على المعلومات والمعارف اللازمة في جميع الفروع بسرعة قياسية وبسهولة ويسر. فقد حلّت الأساليب التعليمية الحديثة والمتطوّرة محلّ الأساليب القديمة والموروثة كمّا ونوعاً ، وسارت هذه التطوّرات بسرعة نحو تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة.

وبرزت جامعة المصطفى ﷺ العالمية في هذا المجال كمؤسسة إسلامية تعليمية حوزوية وأكاديمية تأخذ على عاتقها مسؤولية إعداد الكوادر العلمية والتعليمية غير الإيرانية في مجال العلوم الإسلامية، حيث تعكف أعداد غفيرة من الطلبة الأجانب الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة على مواصلة الدراسة في مختلف المستويات التعليمية وضمن العديد من فروع العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية التابعة لهذه الجامعة.

وبطبيعة الحال، إنّ العلوم والمعارف الإسلامية التي يتوافر عليها الطلبة الأجانب تتمايز بتمايز البلدان والأصقاع التي ينتمون إليها، مما يدفع جامعة المصطفى ﷺ العالمية إلى تدوين مناهج حديثة تستجيب لطبيعة التمايز الذي يفرضه تنوّع البلدان وتنوّع حاجات مواطنيها.

لطالما أكّد أساتذة الحوزة ومفكّروها ولا سيّما الإمام الخميني رحمه الله، وسماحة قائد الثورة الإسلامية (دام ظله) على ضرورة أن يستند التعليم الحوزوي إلى الأساليب الحديثة المستلهمة من مناهج الاستنباط في الفقه الجواهري، وأن يتمّ سوقه نحو مسارات التألّق والازدهار.

وللحقيقة فإنّ جامعة المصطفى ﷺ العالمية تملك خبرة عالية في مجال تدوين الكتب الدراسية والبحوث العلمية، حيث حقّقت تحوّلاً جديداً في ميدان انتاج المعرفة، وذلك من خلال تجربتها في تدوين المناهج الدراسية في مختلف العلوم الإسلامية.

وكانت حصيلة الإنجازات العلمية لهذه الجامعة في مجال تدوين الكتب؛ إصدار أكثر من مئتي كتاب دراسي لداخل البلاد وخارجها، وإعداد أكثر من مئتي كرّاسةٍ علميّة.

وبدوره يعبّر مركز المصطفى ﷺ العالمي عن شكره للتعاون البنّاء للّجان العلمية التابعة لجامعة المصطفى ﷺ العالمية على مواصلة هذه الانطلاقة المباركة في تلبية المتطلبات التربوية والتعليمية من خلال توفير المناهج الدراسية طبقاً للمعايير الجديدة.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم الذي يحمل عنوان الوجيز في تاريخ الإسلام، (الجزء الأوّل)، هو ثمرة إعداد الأُستاذ الفاضل الشيخ محمود السيف.

ونودّ أن نشير إلى أنّ هذا الكتاب هو تلخيص لموسوعة تأريخ الإسلام، تأليف الأُستاذ الفاضل السيّد منذر الحكيم(دام عزّه).

ويحرص مركز المصطفى ﷺ العالمي على تسجيل تقديره و شكره لمؤلفه الجليل

على ما بذله من جهد وعناية، كما يشكر كلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب.

كما لا يفوتنا أن نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة أن يبعثوا إلينا بإرشاداتهم، وبما يستدركونه عليه منه خطأ أو اشتباه؛ لتلافيه في الطبعات اللاحقة.

نسأله تعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للدراسات والتحقيق

الفهرس

بحوث تمهيدية

عصر النبوّة الخاتمة

ظهور فجر الإسلام

العهد المدني وتأسيس الدولة الإسلامية النبويّة

بحوث تمهيدية

١
الإسلام والتأريخ

١. القرآن الكريم والتأريخ

١. القرآن الكريم: هُدى الله،[١] أنعم به على البشرية ليهديها للتي هي أقوم،[٢] ففيه تبيان كلّ شيء[٣] وتفصيله،[٤] ولم يترك القرآن شيئاً يحتاج إليه العباد إلاّ وبيّنه لهم،[٥] ففيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما يكون، وخبر ما هو كائن.[٦]

٢. التاريخ: هومجموعة التجارب البشرية الماضية. وقد اعتبره القرآن الكريم مصدراً من مصادر المعرفة، فحثّ البشريّة على التعرّف عليه والاستفادة منه قائلاً: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾،[٧] وقال تعالى أيضاً مخاطباً الرسولﷺ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٨]

---

١. البقرة: ١٢٠.

٢. الإسراء: ٩.

٣. النحل: ٨٩.

٤. يوسف: ١١١.

٥. *بحارالأنوار*: ٨٤/٩٢

٦. *بحارالأنوار*: ٨٤/٩٢

٧. آل عمران: ١٣٧.

٨ الأعراف: ١٧٦.

٣. للقرآن منهج كامل وواضح في التعامل مع التاريخ الإنساني بشتّى فروعه ومجالاته ومستوياته.

٤. تضمّن القرآن الكريم حقائق تاريخيّة ممتعة، وبلغ اعتناؤه بالتاريخ حدّاً جعله يكرّر بعض هذه الحقائق ويفصّل في بعضها وكأنّه كتاب تاريخ، حتّى قيل: إنّ ثلث القرآن قصص وتاريخ.

٥. إنّ المعرفة التي يحصل عليها الإنسان من خلال التاريخ، تمتاز عن المعرفة النظريّة التي لم تصل إلى محكّ التجربة والتطبيق من حيث درجة الإقناع والاعتماد عليها. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.[١]

٦. ويترتّب على هذه المعرفة إمكان التأسّي والاقتداء بالذين تفوقوا في حياتهم العملية، ومن هنا اعتبَر القرآنُ، أنّ الأنبياءَ الذين أفلحوا في سلوك الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا، أُسوةً وقدوةً لغيرهم.

٧. ويتميّز هذا المصدر [القرآن] عن غيره من المصادر التاريخية بكونه وحياً إلهياً صادراً من مصدر العلم المحيط بحقائق الأشياء وبكيّفية تحقّقها بشكل كامل.

كما يتميّز بالدقّة والصّدق والواقعيّة والاستيعاب لكلِّ مراحل تاريخ الإنسانية.

ويتميّز أيضاً بقدرته المعجزة على توظيف حقائق التاريخ لهداية الإنسان وتربيته، للسير به نحوالكمال المطلوب له.

٢. تاريخ الإنسان في القرآن الكريم

١. أوضح القرآن الكريم أنّ إشراق النبوّة يعتبر بداية العصر التاريخي للإنسان؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.[٢]

---

١. هود: ١٢٠.

٢. البقرة: ٣٠.

وقال عن اصطفاء آدم عليه السلام للنبوّة: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.[1]

فيكون آدم عليه السلام قد مثّل بداية خطّ النبوّة، والهداية الإلهية للبشرية.

٢. اعتبر القرآن خطّ النبوّة، هوالمحور الأوّل في حركة الإنسانية وبناء الحضارة، وعلى أساسه تكوّن تاريخ الإنسان؛ ذلك الإنسان الذي زوّده الله بالعقل والغريزة والاختيار.

وقد أوضح الإمام عليّ عليه السلام هذه الحقيقة القرآنية قائلاً: «فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمتِهِ ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويُرُوُهم آياتِ المقدرةِ...».[2]

٣. مستويات البحث التاريخي

تتنوّع البحوث التاريخية ـ فيما يرتبط بتاريخ الإنسان ـ إلى مستويات ثلاثة بالرغم من ترابطها وتوقّف بعضها على بعض:

١. البَحْث التاريخي النقلي: ويهتمّ بنقل الحوادث التاريخية، والتثبّت من تحقّقها.

٢. البحث التاريخي التحليلي: ويعتني بتحليل الحوادث التاريخية من خلال التعرّف على أسبابها، واكتشاف آثارها ونتائجها، بالإضافة إلى الاهتمام بمدى ارتباطها بالحوادث التي تعاصرها.

٣. البحث التاريخي الفلسفي (فلسفة التاريخ): ويهتمّ باكتشاف السنن التي تتحكّم في تاريخ الإنسان، وكيفية عملها، ومراحل التاريخ البشري، وعلل التطوّر في حركة التاريخ بشكل عامّ والتنبّؤ بالمستقبل الذي ينتظر الإنسانية في نهاية الطريق.

والبحث التاريخي الفلسفي، يستطيع أن يمدّ الباحث التاريخي بالقدرة على

---

١. آل عمران: ٣٤.

٢. *نهج البلاغه*، الخطبةالأولى.

التحليل والتفسير والاستنباط، لتوظيف أحداث التاريخ في خدمة الإنسان بشكل عامّ.

وقد اعتنى القرآن الكريم بالبحث التاريخي بمستوياته الثلاثة؛ وذلك: لترابطها وعدم إمكان الاستغناء عن واحد منها.

خلاصة الدرس

١. القرآن الكريم مصدر تاريخي علمي موثوق ـ بل فوق الوثاقة ـ لأنه يتمتّع بالدقّة والصدق والواقعية والاستيعاب، بما لا يتمتّع به غيره من المصادر التاريخية المتداولة.

٢. للقرآن منهج تاريخي يتفرّد به، فلابدّ من التعرّف عليه والاستهداء به في التعامل مع التاريخ بجميع مستوياته.

٣. اعتنى القرآن الكريم بتاريخ البشرية بشكل عامّ، وبتاريخ الأنبياء بشكل خاصّ، وبتاريخ الرسالة الإسلامية الخاتمة بشكل أخصّ.

الأسئلة

١. ما هوموقف القرآن الكريم من التاريخ بشكل عامّ؟

٢. ميّز بين المعرفة المستقاة من التاريخ وبيّن المعرفة المستقاة من سائر المصادر.

٣. هل نستطيع أن نعتبر القرآن مصدراً تاريخيّاً؟ ولماذا؟

٤. ماهي مميّزات القرآن الكريم كمصدر تاريخي؟

٥. ما هوالمحور الأوّل في الحركة الإنسانية على مدى التاريخ؟

٦. ما هي مستويات البحث التاريخي؟ وما هي نوع العلاقة بين هذه المستويات؟

٢
تاريخ الإسلام

١. ما هوالإسلام؟

الإسلام بمعناه العام: هو «التسليم المطلق لله وحده»، وإظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمدﷺ فهوتسليم العقل والفكر، وتسليم القلب والشعور، وتسليم الإرادة والعمل لله وحده بشكل تامّ وفي كل مجالات الحياة.[١]

والاسلام بمعناه الخاص: هوالرسالة الخاتمة التي جاء بها سيدالمرسلين محمدبن عبداللهﷺ والتي نَسَخت الرسالات السابقة، وهي عقيدة ونظام.

ونحن نؤرخ في هذا الكتاب للإسلام بمعناه الخاص، ومن بدء الدعوة الاسلامية.

٢. تاريخ الخطّ الرسالي

إنّ تاريخ الإسلام هوتاريخ الرسالة الإسلامية التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليس هوتاريخ كلّ من تربّع على كرسيّ الحكم والخلافة وحَكَمَ باسم رسول اللهﷺ، ولا هوتاريخ آحاد المسلمين، وإنّما هوتاريخ هذه الرسالة الخاتمة بمقدار ما لها من حضور وامتداد في حياة المسلمين.

---

١. راجع: البقرة: ١١٢؛ ١٢٥؛ لقمان: ٢٢.

إنّ القادة الربّانيين والأئمة المعصومين الذين عيّنهم رسول الله ﷺ بأمر من الله سبحانه[1] لحفظ الرسالة من عبث العابثين وصيانة هذا الخطّ الربّاني في حياة البشرية بعد رسول الله ﷺ من تسرّب التحريف له، والذين دأبوا على تأصيله وتعميقه، وذابوا في حمايته والدفاع عنه، تُمثّلُ حياتُهم حياةَ الرسالة ومواقفُهم مواقفَ الشريعة وحركتُهُم حركةَ الدين الإلهيّ؛ لأنّهم يجسّدون قِيَمَه وحقائقه، ويُعبّرون عنها أصدقَ تعبير، فتاريخهم هو تاريخ هذا الخطّ الرساليّ بكلّ مراحله وملابساته، ومن هنا كان تاريخ القادة الميامين ـ محمّد ﷺ والصفوة من عترته وأهل بيته عليهم السلام ـ هو تاريخ الإسلام الحقيقي، باعتبارهم المقياس والمثل الأعلى لحركة هذه الرسالة في هذه الحياة.

٣. عصر النبوّة الخاتمة: عصر الثورة وتأسيس الدولة الإسلاميّة

يبدأ تاريخ الإسلام بالبعثة المباركة في السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة النبويّة بثلاثة عشر عاماً، حيث بدأت الرسالة الخاتمة حياتها وأخذت تشقّ طريقها، مخترقة المجتمع العربي الجاهلي، والمجتمع الإنساني الغارق في الظلام، قامت على يدي الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله ﷺ على شكل ثورة إلهيّة تغييريّة شاملة، إنطلاقاً من مكّة المكرّمة وانتهاءً بالدولة الإسلامية المباركة التي كانت ثمرة جهوده المباركة المتواصلة، وقيادته الربّانيّة الحكيمة في أقصر فترة زمنية ممحدث في تاريخ الرسالات السماوية والدعوات التغييريّة.

والعهد النبوي ينقسم إلى عهدين متميّزين:، هما: العهد المكيّ والعهد المدنيّ.

---

١. راجع: الآيات التالية: ٣ و ٦٧ من سورة المائدة؛ ٣٣ من سورة الأحزاب؛ ٦١ من آل عمران؛ ٢٣ من سورة الشورى. وراجع أيضاً: حديث الثقلين، وحديث السفينة، والأمان، وغيرها من الأحاديث التي تضمّنت مرجعية أهل البيت الدينية، وأنّهم يمثّلون الخطّ السليم والحقيقي للرسالة الإسلامية.

ويبدأ العهد المكّي بالبعثة النبويّة في مكّة وينتهي بالهجرة من مكّة إلى المدينة المنوّرة (يثرب).

ويبدأ العهد المدني بهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة وتنظيم قواعد الدولة الإسلامية وينتهي بوفاته صلى الله عليه وآله فيها.

وفي كلا العهدين كان الوحي الإلهي هوالموجّه المباشر للنبيّ القائد صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ الأمّة المسلمة من خلال آيات القرآن الكريم التي نزلت خلال ثلاثة وعشرين عاماً من الهدم والبناء المتواصلَيْن. وقد حفظ القرآن الكريم لنا أحداث هذين العهدين.

ونستطيع أن نقف على تاريخ هذا العصر فيما إذا استطعنا ترتيب نزول آيات القرآن الكريم بشكل صحيح.

٤. عصر الوصاية على الثورة والدولة الإسلامية

إنّ حركة التغيير الشاملة للمجتمع الجاهلي بمفاهيمه وقيمه وأعرافه وأنظمته، كانت تتطلّب وصاية عقائدية على الثورة والدولة النبويّة الفتيّة؛ وذلك لأنّ الطريق أمام هذه الحركة كان طويلاً وممتداً بامتداد الفواصل المعنويّة الضخمة بين الجاهليّة والإسلام. ولم تكن المدّة الزمنية التي استوعبتها الثورة والدولة النبويّة كافيةً لاجتثاث كلّ الجذور الجاهليّة ورواسبها، كما برهن على ذلك تاريخ الحوادث التي وقعت عقيب وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.[1]

ومن هنا فقد عيّن النبيّ القائد صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى اثني عشر وصيّاً على ثورته ودعوته ورسالته؛ ليقودوا أُمّته ودولته الربّانية من بعده؛ وليقوموا بمهمّة الدفاع والذبّ عن شريعة الله ودولة رسول‌الله، وأُمّة خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله.

وينقسم عصر الأئمة الراشدين الى ثلاثة عهود متميّزة، وهي:

---

١. للتفصيل راجع: *نشأة التشيّع والشيعة*: ٥١ ـ ٥٧ و٥٨ ـ ٦١.

١. عهد الحضور: ويبدأ بوفاة الرسولﷺ سنه ١١هـ وينتهي بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ.

٢. عهد الغيبة: ويبدأ بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنه ٢٦٠هـ ويستمر حتّى ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

٣. عهد الظهور: ويبدأ بظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه ويستمر حتّى يرث الله والأرضَ ومن عليها.

خلاصة الدرس

١. الإسلام هوخاتمة الرسالات الإلهية للبشرية جمعاء.

٢. تاريخ الإسلام هوتاريخ الرسالة (تاريخ الخطّ الرسالي) وليس هوتاريخ الخلفاء أوتاريخ آحاد المسلمين.

٣. إنّ حياة القادة الرساليّين ـ محمّدﷺ وعترته الطاهرة ـ تمثّل حياة الرسالة الإسلامية، وتاريخهم هوتاريخ هذا الخطّ الرسالي بلا ريب.

٤. ينقسم تاريخ الإسلام إلى عصرين متميّزَيْن: عصر النبوّة المرتبط بالوحي بشكل مباشر، وهوعصر الثورة الربانية وتأسيس الدولة الإسلامية، و عصر أوصياء النبيّ عليهم السلام الإثني عشر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهوعصر الوصاية على الرسالة والأُمة المسلمة والدولة الإسلامية. وهوبدوره ينقسم إلى ثلاثة عهود.

الأسئلة

١. ما هوالإسلام؟ وما هوتاريخ الإسلام الذين ندرسه؟

٢. ميّز بين تاريخ الخلفاء وتاريخ المسلمين، وتاريخ الأئمّة الراشدين.

٣. ما هوالعصر النبّوي وماهي خصائصه؟

٤. ما هي سمات عصر الوصاية؟

٣

مصادر التاريخ الإسلامي (١)

تعتبر الرسالة المحمّدية أعظم ما طرح في حياة البشر عامّة وحياة العرب خاصّة، فهي تشكّل المحور الأهم من محاور تاريخ البشرية بشكل عامّ وتاريخ العرب بشكل خاصّ.

ولم يدوّن في تاريخ الإسلام وسيرة النبيّ العظيمﷺ، وسيرة أصحابه وأعدائه شيء يذكر في عصر النبيّﷺ سوى ما تضمّنه القرآن الكريم.

وسوى ما سجّله بعض الصحابة الكرام في عصر الرسولﷺ مثل ما جمعه الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام من أسباب النزول وغيرها من حوادث التاريخ لعصر النبيّﷺ، وما كتبه غيره من الصحابة في حياتهﷺ ـ وهذا النزر القليل لم يصل كلّه إلينا إلاّ في عصور متأخّرة وعبر روايات ذات وسائط متسلسلة.

وذلك لأنّ صحيفة الإمام عليّعليه السلام وما سجّله فيها من أحاديث ترتبط بتفسير القرآن وشأن نزول آياته، وجملة من علوم القرآن، وقد عرضه الإمامعليه السلام على أبي بكر حين زعم أنّه خليفة رسول اللهﷺ فزهد فيه وردّه عليه.[1]

وقد طلب كلٌّ من أبي بكر وعمر من عامّة الصحابة ما دوّنوه من أحاديث الرسولﷺ فجمعاه وأحرقاه، زعماً منهما بأنّ كتاب الله لا يُشاب بشيء، وأنّ تدوين

---

١. *المناقب*: ٤١/٢؛ *بحار الأنوار*: ٩٩/٩٢؛ *والإتقان* للسيوطي: ١٨٧/٢.

السُّنّة النبوية قد يؤدّي إلى ضياع القرآن الكريم.[١]

غير أنّ كل من تصدى للخلافة بعد منع تدوين الحديث قد لمس الحاجة إلى سنّة الرسول ﷺ وأحاديثه كلّما تقدّم الزمن، وكلّما ابتعدوا عن عصر الرسول ﷺ، وازدادت العقبات فاتّضح لديهم بعد مرور قرن من الزمن حجم الأضرار التي نشأت من منع تدوين الحديث النبويّ الشريف.[٢]

وكان من جملة تلك الأضرار أن فُسحَ المجال للوضّاعين الذين كانوا يشترون بالأحاديث التي ينسبونها للرسول ﷺ وصحابته الكرام ثمناً قليلا. وهكذا أخذ ضباب التّزوير يموّه حقائق التاريخ الإسلامي بالتدريج، ممّا دعا العلماء بل الخلفاء أنفسهم لنقض سيرة الشيخين ومن تلاهما من الخلفاء في وضح النهار وإبطال الحظر الذي كانوا قد ضربوه على عمليّة التدوين.

نعم تفرّدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ بقيادة عميدها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ بالحثّ على تدوين السنّة الشريفة والإهتمام بحفظها ونشرها، وكتابة التاريخ الإسلامي[٣] بالرغم من حظر السلطة الحاكمة والضغط الذي كانت تمارسه على الصحابة والتابعين لشلّ هذه الحركة التصحيحية التي حاول أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خلالها مواجهة هذا التيّار المنحرف الذي حاق بالأُمّة الإسلامية عامّة وتاريخها المجيد بشكل خاصّ.

ومن هنا قد نفهم السرّ في الجرأة على التدوين عند بعض التابعين وتابعي التابعين قبل تاريخ رفع الحظر رسميّاً.

فقد أشارت المصادر الموجودة بأيدينا إلى أنّ أوّل من صنّف في السيرة هو: عروة بن

---

١. *طبقات ابن سعد*: ٢٠٦/٣.

٢. *جامع بيان العلم*: ٩٢ ح: ٤٠٣؛ *وسنن الدارمي*: ١٢٦.

٣. أمر الإمام عليّ عليه السلام كاتبه عبدالله بن أبي رافع أن يكتب أقضيته وأحكامه. راجع: *رجال النجاشيّ*: ٤ـ٧، مؤسّسة النشر الإسلامي.

الزبير (ت ٩٢ هـ). وذكر ابن سعد: أنّ أوّل من تخصّص في السيرة أبان بن عثمان (ت١٠٥هـ).

واستمرّت حركة التأليف في السيرة حتى وصل الدور إلى محمّد بن إسحاق (ت ١٥٣هـ)، ولكن لم يصلنا من كتبهم شيء سوى *سيرة ابن إسحاق*، برواية ابن هشام (ت ٢١٨هـ).

إلى جانب هؤلاء ظهر من لم يقتصر على أخبار السيرة، بل جمع إليها أخبار الجاهلية ثمّ أخبار الخلفاء أوبعضهم أوأخبار الأئمّة من أهل البيتعليهم السلام مثل: محمّد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) وأبي مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ)؛ وهشام بن محمّد الكلبي (ت ٢٠٦هـ) ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٤) والبلاذري (ت ٢٧٩) وأبي الفرج الإصبهاني (ت ٢٨٤) واليعقوبي (ت ٢٩٢) والطبري (ت ٣١٠هـ) والمسعودي (ت ٣٤٦).[١]

وقد اشتهرت *سيرة ابن إسحاق* وكُتِبَ لها النجاح؛ لاعتماد الثقات عليه، وقد أخرج له مسلم في صحيحه، واستشهد به البخاري في مواضع، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة.وقال الرجالي المعروف ابن عَدِيّ: ولم يتخلّف في الرواية عنه القضاة والأئمّة الأثبات.[٢]

وهكذا أصبح ابن إسحاق عمدة المؤلفّين في السيرة، ولا سيّما بعد تهذيبها بواسطة ابن هشام الحميري البصري (ت ٢١٨هـ)، فروى سيرته من طريق زياد بن عبدالملك البكّائي العامريّ الكوفي (ت ١٨٣هـ)، ولكن ابن هشام هذا قد اختصرها وأضاف عليها ونقدها أحياناً وعارضها بروايات أُخر، وعلّل الاختصار والحذف بأمور منها: ما تفرّد به ابن اسحاق، ومنها: ما يشنع الحديث به! ومنها: ما يسوء بعض الناس ذكره!

كما أسقط منها تاريخ الأنبياء،وتاريخ ولد إسماعيل ممّن ليس في عمود النّسب النبويّ.

---

١. *موسوعة التاريخ الإسلامي*: ١/١٦ـ١٨.

٢. المصدر: ١/١٩.

وأمّا الواقدي فهومحمّدبن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) فقد روى عن سائر رواة الأخبار عن الزهري مع تشابه كبير بين فقرات *كتاب السيرة* لابن إسحاق وكتاب *المغازي* للواقدي إلاّ أنّه انفرد عنه بتطبيق المنهج العلمي حيث رتّب تفاصيل الحوادث بطريقة منطقية لاتتغيّر، فذكر أوّلاً قائمة بالرجال النّاقلين للأخبار، ثمّ ذكر المغازي واحدة واحدة مع تاريخ الغزوة بالتحديد، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثمّ يذكر غزوات الرسولﷺ وأسماء من استخلفهم على المدينة في كلّ غزوة ثم أشعار المسلمين في القتال. كما يذكر اسم كلّ غزوة وتاريخها وأميرها،[1] ويذكر أيضاً ما نزل من آيات القرآن في كلّ غزوة واضعاً لها مع تفسيرها في نهاية أخبار الغزوة.[2]

نظرة تقويمية إلى مصادر التاريخ الإسلامي

لقد دأب بعض المستشرقين على تناول بعض أخبار السيرة بالبحث والنقد ثمّ جعلوا ذلك وسيلة للطعن في شخص النبيّ الكريمﷺ أوما يتّصل به. فآمن بعض أصحاب الأقلام الجديدة بأنّ في السيرة أخباراً لا تمتّ إلى الحقّ بصلة في قليل ولا كثير، فأقدموا على تهذيب السيرة ممّا اُلصق بها وهوليس منها، كقصّة شقّ الصدر والغرانيق وغرام الرسولﷺ بزوجة ربيبه زيد!

إنّ سيرة النبيّ الأعظمﷺ كسائر العظماء اُضيف إليها ما ليس منها، إمّا عن حبّ وهوى وحسن نيّة وطويّة، وإمّا عن حقد وسوء قصد متعمّد، ولكنّها تمتاز عن سير جميع العظماء بأنّ شيئاً كثيراً منها قد ضمّه الوحي الإلهي وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيراً منها مرويّ على لسان الحفّاظ الثقات من المحدّثين.

---

١. موسوعة *التاريخ الإسلامي*: ١٩/١.

٢. المصدر: ٢٣/١ ـ ٢٤.

فعلى هذه الأُسس الصحيحة يجب أنْ تُبنى السيرة، وأنْ تُحلّل التحليل العلميّ النّزيه بملاحظة حال البيئة وجوانبها المختلفة من عقائد ونظم وعادات وتقاليد وطقوس.

ملاحظات على كتب السيرة والتاريخ

١. إنّ الدارس لكتب السيرة والتاريخ؛ يلاحظ أنّ ما روته من أنباء فيه تفاوت جليّ من حيث التعارض والزيادة والنقصان ونسبة الموضوعات.

فهذه سيرة *ابن هشام* أوقُل: *سيرة ابن إسحاق* وهي أقدم السِّير المعروفة اليوم، تتغافل كثيراً عمّا ذكره أبوالفداء في *تأريخه*، وما ذكره القاضي عياض في *الشفاء* وعن جميع ماكتب المتأخّرون تقريباً.

فلابدّ للباحث من أنْ يجعل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فما صدّقه هذا المقياس أقرّه، وما لم يصدّقه فلا يورده بل يردّه»، ومثال ما يلزم رده وتكذيبه قصة الغرانيق التي تتنافي مع خط التوحيد الخاص.

٢. وهناك سبب آخر يوجب تمحيص ما ورد في كتب السلف ونقده نقداً علميّاً دقيقاً، هو: أنّ أقدمها قد كُتب بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بمائة سنة أوأكثر، وبعد أنْ فشت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية؛ كان اختلاق الروايات والأحاديث من وسائلها للغلبة على خصوم واضعيها، فما هو حال ما كُتب متأخّراً، و في أشدّ الأزمان اضطراباً وقلاقل؟ وكيف بمادوّن في كتب السيرة المتأخّرة؟ فهل يمكن الأخذ به بدون تمحيص؟

وقد أدّت المنازعات السياسية وغيرها التي حدثت بعد الصدر الأوّل إلى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها، هذا مع العلم أنّ الحديث لم يدوّن حتى زمن خلافة عمربن عبدالعزيز حيث أمر بجمع الحديث.[١]

١. *طبقات ابن سعد*: ٣/٢٠٦.

وكان المقياس لقبول الرواية عندهم هو الالتزام بمقياس صحة السند، والثقة بالراوي ولكنّ، هذا المقياس غير كافٍ فلابدّ أن يضاف إليه العرض على كتاب الله تعالى وأن لايكون متن الرواية مما يخالف ظاهر القرآن، بل ومما يوافقه، وعلى هذا الأساس يؤاخذ البخاري على ذكره وروايته قصة الغرانيق المزعومة وإن صح سندها عنده. لأنها مخالفة صريحه لهذا المقياس المتفّق عليه.

قال ابن خلدون: إنّني لا أعتقد صحّة سند حديث، ولا قول صحابي عالم يخالف ظاهر القرآن، وإنْ وثّقوا رجاله؛ فَرُبَّ راوٍيوثّق؛ للاغترار بظاهر حاله وهوسيّء الباطن. ولوانتقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تُنتقد من جهة سندها؛ لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض.

وقد قالوا: إنّ من علامة الحديث الموضوع: مخالفته لظاهر القرآن،أوالقواعد المقرّرة في الشريعة،أولبرهان العقل،أوالحسّ والعيان وسائر اليقينيّات.[1]

٣. وقد تولّى كتّاب السيرة كتابتها للخلفاء، فابن إسحاق كتب سيرته للخليفة المنصور ولابنه المهدي، والواقدي كتب *مغازيه* للرشيد، ولوزيره يحيى بن خالد البرمكيّ. اللهمّ إلاّ هشاماً الكلبي والمدايني فإنّهما لم يكتبا لأحد منهم، ولكنّهما ما كان لهما أن ينازعا الخليفة في آرائه خوفاً منه، ولذلك فإنّه لا تنطبق على ما كتبوه مقاييس الصحّة بدقّة.[2]

هذه بعض المآخذ والاشكالات على جملة مهمّة من المصادر التاريخية التي عرضنا لها، بالرّغم ممّا احتوته من معلومات قيّمة، لا نكاد نجد ما يضارعها في ما سواها من مصادر التاريخ دقّةً وتفصيلاً وأهمّيةً.

١.عن *طبقات ابن سعد*: ٢٠٦/٣.

٢. راجع: *موسوعة التاريخ الإسلامي*: ٣٥/١ ـ ٣٨ لتلاحظ الأمثلة والشواهد على ذلك.

خلاصة الدرس

١. إنّ ما دوّنه الصحابة من حديث الرسولﷺ في حياته قد أُحرق بعد وفاته، وقد منعت سلطة الخلافة من تدوين الحديث بشكل رسمي طيلة القرن الأوّل على الأقلّ.

٢. لم يصلنا شيء من نصوص التاريخ الإسلامي، ما كان معاصراً لأحداث صدر الإسلام وعصر الرسولﷺ، إلاّ ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات ونصوص.

٣. اتّسعت دائرة وضع الحديث بعد عصر الرسولﷺ ولا سيّما في عصر معاوية وما تلاه، ومن هنا أخذت حقائق التاريخ تغيب تحت هذا الركام.

٤. وقف الإمام عليّعليه السلام والأئمة من ولده وصحابتهم أمام منع حركة تدوين الحديث، فدوّنوا ما أمكنهم تدوينه، وحاولوا إيصاله إلى الأجيال اللاّحقة؛ حرصاً منهم على حفظ الشريعه، وحفظ حقائق التاريخ.

٥. تعتبر *سيرة ابن هشام* تلخيصاً لـ*سيرة ابن إسحاق* إذ كان ابن إسحاق معتمداً عند الثقات وأصحاب الصحاح. وتعتبر *مغازي الواقدي* ثاني المصادر المعتمدة لدى المؤرّخين.

٦. تضمّنت كتب السيرة أخباراً متعارضة، وهذا أحد أسباب ضرورة تقويم أحاديثها وعدم الاعتماد على كلّ ما جاء فيها من أحاديث، بالرغم من اشتمالها على أحاديث قيّمة لا غنى للباحث التاريخي عنها.

الأسئلة

١. مَن الذي منع من تدوين حديث الرسولﷺ ولماذا؟

٢. لماذا أحرقت أحاديث الرسولﷺ التي كان قد دونّها بعض الصحابة في حياته؟

٣. ما هوموقف أهل البيتعليهم السلام من حركة منع تدوين الحديث؟

٤. ما هي أقدم المصادر التأريخية العامة؟ وهل وصلنا شيء منها؟

٥. ما هي علاقة *سيرة ابن هشام* ب*سيرة ابن اسحاق*؟

٦. ما هو رأيك بالمصادر التاريخية الأولى؟

٤

مصادر التاريخ الإسلامي(٢)

لقد كان الأئمّة الأطهارعليهم السلام -انطلاقاً من مسؤليتهم في حفظ الشريعة - يحثّون أتباعهم على تدوين الأحداث، وتداول رواية النصوص المدوّنة لإيجاد تيّار قويّ قادر على حفظ التراث الذي بدأت السلطة بالتمهيد لإخفائه وإضاعته من خلال هذا الحظر المقصود.

علماً بأنّ الكتاب والسنّة كانا يشكّلان -بحقّ- البذرة الأولى للحضارة الإسلامية السامية من خلال الدعوة إلى التعلّم والتعقّل، والمبادرة لاكتساب أنواع المعارف القرآنية والفلسفية و التجربية وتعميمها وتعميقها.

وكانواعليهم السلام يدعون إلى الاهتمام بالسنّة النبوية الشريفة الى جانب الاهتمام بالكتاب العزيز، والتوجّه إلى السيرة والتاريخ بشكل خاصّ، ومن هنا كان الحثّ والتشجيع من قبل أهل‌البيت‌عليهم السلام على تدوين السنة وتداولها منسجماً مع محكمات الكتاب والسنة.

وقد انتج هذا الحث الأكيد أثرين إيجابيين في المجتمع الإسلامي:

الأثر الأوّل: هواهتمام صحابة أهل‌البيت‌عليهم السلام وأتباعهم بتدوين السنّة وقضايا التاريخ الإسلامي اهتماماً خاصّاً، تَمثّل في مجموعة من الكتب التاريخية والحديثية التي تكفّلت بحفظ التراث الإسلامي ولاسيّما تراث الرسول الأعظم‌صلى الله عليه وآله وأهل‌بيته الأطهارعليهم السلام.

الأثر الثاني: التمهيد لرفع الحظر الجادّ من خلال كسر الطوق الذي كان الحكّام قد طوّقوا به الأمّة الإسلامية لا سيّما محدّثيهم وعلمائهم.

وعلى هذا فالمصادر التاريخية التي يمكن أن تلقي بضوئها على تأريخنا الإسلامي وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لا تنحصر فيما عرف من كتب السيرة العامّة التي تعرّضنا لها في البحث السابق، وإنّما يجد الباحث نفسه أمام تراث تاريخي ثريّ لا يمكن التغافل عنه أوتناسيه أوتسقيطه؛ لأنّه من تدوين أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

ويصبح التعرّف على هذه المصادر التاريخية فرضاً علميّاً لا غنى للباحث عنه.

ومن الطبيعي أيضاً أن تنتقل إلينا سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسنّته من خلال أهل بيته الطاهرين، فإنّهم أحفظُ لها وأدرى بها، وقد حرص أتباعهم على تدوينها وتناقلها عبر الأجيال والقرون.

مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام التاريخية

وإليك تعريفاً موجزاً بهذه المصادر حسب تسلسلها التاريخي مع الإشارة إلى مؤلّفيها:

١. الشريف الرضي (ت ٤٠٥ هـ): له كتاب *خصائص أخبار الأئمّة الاثني عشر*، على ترتيب أيّامهم، ذكر فيه تواريخ مواليدهم وأعمارهم ووفياتهم وقبورهم، وطُرفاً من حجج النّصوص وحقائق البراهين عليهم، ولمعاً من جواباتهم وأقوالهم وأحاديثهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ابتدأ بكتابته قبل (سنة ٣٨٣هـ) ولم يكمل من هذا الكتاب سوى خصائص الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وله أيضاً كتاب *نهج البلاغة* الذي تضمّن جملة من خطب ورسائل، وكتب، وحِكم الإمام عليّ عليه السلام، وتضمّن جملةً من حقائق التاريخ التي ترتبط بعصر الرسول صلى الله عليه وآله، والعصر الذي تلاه حتّى أيام حكومة الإمام عليه السلام واستشهاده.

٢. الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) له كتاب *الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد*، وهوأوّل كتاب جمع فيه تواريخ الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام، وقد جاء فيه ذكر السيرة

النبويّة الشريفة عَرَضاً ضمن عرضه لتاريخ الإمام عليّ عليه السلام على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣. الشيخ محمّد بن الفتّال النيسابوري (ت / ٥٠٨هـ) له كتاب *روضة الواعظين*، في مجلّدين، وخصّ الأوّل منهما بالجانب العقائدي والتاريخي للنبيّ صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام.

٤. الشيخ أبوعلي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) له كتاب *إعلام الورى بأعلام الهدى*، يشتمل على تواريخ مواليد وأعمار الأئمّة عليهم السلام وطُرف من أخبارهم ومحاسن آثارهم والنّصوص الدالّة على صحّة إمامتهم، وافتتح كتابه بالكلام عن مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ومبعثه وحياته وصفاته وأحواله وبعض غزواته حتى وفاته صلى الله عليه وآله.

وله كتاب تفسيري جامع بعنوان *مجمع البيان لعلوم القرآن* تضمّن بيان حوادث التاريخ خلال تفسيره للآيات، جاء بها من مصادرها العامّة والخاصّة.

٥. قطب الدين الراوندي(ت ٥٧٣هـ) له كتاب *قصص الأنبياء* في عشرين باباً، خصّ البابين الأخيرين بخاتم النبيّين صلى الله عليه وآله، وله أيضاً كتاب *الخرائج والجرائح* خصّه بمعجزاته صلى الله عليه وآله.

٦. محمّد بن عليّ الحلبي (ت ٥٨٨هـ) له كتاب *مناقب آل أبي طالب* وافتتحه بذكر سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٧. الشيخ عليّ بن عيسى الأربليّ (ت ٦٩٣هـ) له كتاب *كشف الغمّة في معرفة الأئمّة* وقد بدأ بحوثه بذكر شيء من أحوال الرسول صلى الله عليه وآله وصفاته.

٨. السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٩هـ) له كتاب *حلية الأبرار محمّد وآله الأطهار*.

٩. الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ) له كتاب شهير تحت عنوان *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأطهار* عليهم السلام. وهوأكبر موسوعة (قرآنية ـ حديثية) تعتمد على تتبّع الأصول المعتبرة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، المهجورة منها والمتداولة المشهورة، فألّف منها كتاباً منسّق الأبواب والفصول وطبعت بالطبعة الحديثة في ١١٠ جزءً، وبلغت أجزاء السيرة النبويّة وسيرة الأئمّة عليهم السلام ثمانية وثلاثين

جزءً، سوى أجزاء الاحتجاجات والتراث الذي جاء عنهم عليهم السلام في كلّ مجال من مجالات المعرفة وسوى أجزاء حياة الأنبياء عليهم السلام.

لقد كانت محاولة المجلسيّ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ محاولة شاملة لكلّ ما تمكّن من جمعه وضبطه وتصنيفه تاريخاً نقليّاً، وليس تحليليّاً.

ولذا فهذه النصوص التي جمعها المجلسيّ تشتمل على الصحيح والضعيف، فهي إذن بحاجة إلى غربلة علميّة دقيقة تتناسب ومهمّة المؤرّخ الباحث الفاحص.

ومن هنا جاءت المحاولة الموسوعية لأحد المختصين بحقل التاريخ والمهتمّين بمصادر الفريقين تحت عنوان موسوعة التاريخ الإسلامي[1] لتسدّ المرحلة الأُولى من هذا الفراغ العلمي الذي تحتاجه الساحة الإسلامية لتتلوها سائر الخطوات والمحاولات التي تستكمل بها عمليّة البناء التاريخي الإسلامي على أُسس علميّة متينة معتمدة على نصوص القرآن الكريم المحكمة، ونصوص السنّة الشريفة المعتبرة، ومحكمات العقل الصائب، ومستجدّات العلم التي تفتح للدراسات التاريخية التحليلية آفاقاً جديدة.

ولا يسوغ للدارس المحقّق في حقل التاريخ أن يتغافل عمّا جمعه مؤلّف هذه الموسوعة، وما قام به من موازنة وتقويم، ليكون على حيطة وحذر من إغفال ما تناثر في بطون الكتب والمصادر القديمة والحديثة من أمور قد تؤثّر على رؤية الباحث الحصيف.

خلاصة الدرس

١. اهتمّ الأئمة المعصومون وشيعتهم بتداول أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وألزموا أصحابهم و شيعتهم بالتدوين الذي أسفر عن إبطال الحظر الذي فرضته السلطات

---

١. تأليف الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، نشر مجمع الفكر الاسلامي، في ثمانية أجزاء كبيرة يستوعب العصر النبوي منها ثلاثه أجزاء وتستوعب خمسة أجزائها الأخرى عصور الأئمه الأطهار عليهم السلام (١١هـ).

الحاكمة عليها وساهم في إيصال مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلينا.

ومن هنا ظهرت مصادر تاريخيّة وحديثيّة إلى جانب المصادر العامة، اختصّ بتدوينها أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهي بوجودها تلقي الحجّة على كل مؤرّخ ومتتبّع حيث إنّه لايستغني عنها؛ لقيمتها التاريخيّة والتشريعية ولا يكون معذوراً فيما إذا تغافل عنها، لأنّها لا تقلّ في قيمتها التاريخيّة عن سائر المصادر التي اشتهرت عند المسلمين.

٢. تشكّل مجموعة أجزاء بحار الأنوار موسوعة حديثيّة غنيّة في مجال التاريخ والسيرة وغيرهما من مجالات المعرفة الإسلامية، بل أوسع موسوعة حديثية في مجال التاريخ والسيرة، ولكنّها بحاجة إلى دراسات تكميليّة حديثة.

٣. تأتي موسوعة التاريخ الإسلامي في عصرنا الراهن لترفد المكتبة الإسلامية بمحاولة جديدة تغربل المصادر ومحتوياتها، ولا تغفل عمّا أفرزته آيات القرآن الكريم من حقائق تاريخيّة ينبغي للباحث أن يأخذها بنظر الإعتبار.

الأسئلة

١. لماذا خالف أهل البيت عليهم السلام إجراءات السلطة بمنع تدوين الحديث النبوي؟

٢. ما هي الآثار التي خلّفتها مواقف أهل البيت الحازمه لحركة منع تدوين الحديث النبوي؟

٣. هل يستطيع الباحث التاريخي أن يتغافل عن المصادر التاريخية الشيعية التي دونّها اتباع أهل البيت عليهم السلام؟ ولماذا؟

٤. اذكر أهم المصادر التاريخية والحديثيّة التي دونّها أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

٥. ما هو أهم مصدر تاريخي للعلامة المجلسي؟

٦. تحدّث عن منهج موسوعة التاريخ الاسلامي ؟



عصر النبوّة الخاتمة



٥

البيئة الجغرافية والسياسية التي انطلق فيها الإسلام

جغرافية شبه الجزيرة العربية

عرفت بلاد العرب عند مؤرّخي اليونان والرومان باسم أرابيا Arabia بينما يطلق عليها مؤرخوا العرب وجغرافيّوهم اسم «جزيرة العرب».

أمّا عن حدود شبه الجزيرة العربية فيحدّها من الشرق الخليج الفارسي وبحر عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشمال بادية الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي.

وتختلف بلاد العرب من حيثُ طبيعتها باختلاف أجزائها، فبعض أجزائها تغطّيه كثبان الرمل، وبعض تكسوه الصخور، وبعض منخفض تكثر فيه الواحات من غيرانتظام وهي موطن القبائل في الغالب، [1] وبعضها مرتفع.

أمّا مناخ شبه الجزيرة العربية فصحراوي حارّ جدّاً في الصيف، وبارد قارص شديد البرودة في الشتاء، وأمطاره قليلة تسقط في الخريف والشتاء والربيع بدفعات غير منتظمة، أما في اليمن فتسقط صيفاً بفعل الرياح الموسمية الآتية من شرقي أفريقيا. [2]

أمّا الحاصلات الزراعية والنباتات، فيأتي النخيل في مقدّمتها، ويكثر وجوده في

---

١. *دراسات في تاريخ العرب*: ١٠٥ ومابعدها.

٢. *عصر ما قبل الإسلام*: ٢٨؛ *محاضرات*، صالح العلي: ١٥.

الواحات. ويزرع من الحبوب: القمح والشعير والذرّة وتشتهر (فدك) ووادي القرى وخيبر والمدينة والبحرين بإنتاج الشعير، أمّا القمح فيكثر في اليمامة، والذرة في عسير، وتشتهر الطائف بإنتاج الكروم وأنواع الفاكهة، ويزرع البرتقال والسفرجل في المناطق المرتفعة، والموز في بعض الوديان الصّالحة نحوالجنوب.[١]

العصر الجاهليّ

عرف عصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية «بالعصر الجاهلي»، والجاهلية هنا لا تؤخذ بمعنى الجهل الذي هونقيض العلم، بل تعني: السفه والغضب والأنفة.[٢]

فعرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقّة والأحكام العادلة والمُثُل العليا التي جاء بها الإسلام، وعلى هذا الأساس يصحّ إطلاق لفظ الجاهلية هذا على العصر السابق لعصر النّبيّ صلى الله عليه وآله.[٣]

وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[٤]

أمّا من الناحية التاريخية والأدبية؛ فإنها تطلق على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بقرن و نصف تقريباً، وتنتهي بظهور الإسلام سنه ٦٢٢م، وقد وصلت اللغة العربية و الشعر إلى مرحلة ناضجة في تلك الحقبة الزمنية.

فالجاهليّة إذن؛ كلمة اطلقت على العصر السابق لعصر الإسلام مباشرة، الذي سادت فيه الوثنيّة والحميّة والأخذ بالثار واقتراف ما حرّمه الدين من الموبقات.[٥]

---

١. المصدر.

٢. *لسان العرب*، ١٣/ ١٣٦.

٣. *المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية*، حاشية: ١٥٤.

٤. المائدة: ٥٠.

٥. *العصر الجاهلي*، شوقي ضيف، ط الرابعة ١٩٦٠: ٣٩؛ *الموجز في تاريخ الأدبي العربي*: ٢٤.

الحياة السياسيّة في الجزيرة العربيّة

كانت القبيلة هي الوحدة السياسيّة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، فأفراد القبيلة ينتمون أويعتقدون أنّهم ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة الدم والعصبية للأهل والعشيرة.

ورابطة العصبية هي: شعور بالتماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، فهي بذلك تعدّ مصدراً للقوّة السياسية والدفاعية بين أفراد القبيلة، فتعمل العصبية بذلك على بناء المجتمع وحفظ كيانه، وهي تعادل الشعور بالقومية في العصر الحاضر، ولكن رابطة الدّم فيها أقوى وأوضح، والفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقبيلته وينصرها ظالمة كانت أومظلومة.[١]

وهكذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمعاً مفكّكاً سياسيّاً ينقسم إلى وحدات متعدّدة قائمة بذاتها، تمثّلها القبائل المختلفة، فالعصبية في ذلك المجتمع قضت على فكرة الترابط السياسيّ، حتّى في حالة الانتساب إلى إحدى المجموعتين الكبيرتين:العدنانية والقحطانية ممّا أدّى إلى قيام صراع بين هاتين القبيلتين.[٢]

أمّا عن نُظُم الحكم السائدة في تلك المجتمعات القبليّة؛ فقد كان لكلّ قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه رجل يتمّ اختياره من بين أفراد القبيلة، ويطلقون عليه ألقاباً منها: الرئيس والشيخ والأمير والسيّد.[٣]

ويشترط في من يتولّى هذا المنصب أن تتوفّر فيه عِدّة صفات تؤهّله لقيادة القبيلة ورئاستها، منها: الشجاعة والحكمة والصبر والكرم، وأن يكون ذا نفوذ عظيم وقوّة في البيان ورأي ثاقب.[٤]

---

١. *محاضرات في تاريخ العرب*: ٥٧٠.

٢. *دراسات في تاريخ العرب*: ٥٧٠.

٣. *التاريخ السياسي للدولة العربية*: ٤٩/١.

٤. *بلوغ الارب*: ١٨٧/٢.

وكان على سيّد القبيلة واجبات أهمّها قيادة الجيش، وتولّي أمر المفاوضات مع القبائل الأخرى، وفضّ المنازعات، والحكم في الخلافات، وإعانة الضعفاء، وإيواء الغريب، وإجارة المجير، والذّود عن النّساء، والمحافظة على وحدة القبيلة.[١]

وكان مجلس القبيلة يعقد اجتماعاته بدار الندوة، أوالمنتدى أوالنادي، حيث تناقش الأُمور والمسائل التي تخصّ القبيلة كإعلان الحرب، أوإقرار السلم، وتتّخذ قراراته بعد التشاور والمناقشات بالأغلبية.[٢]

خلاصة الدرس

١. إنّ التعرّف على تاريخ وجغرافية المنطقة التي ولد فيها خاتم الأنبياء ﷺ ونشأ وعاش في أرجائها حتّى بعثه الله برسالته؛ يساعدنا على الوقوف على أهمية الدّور الذي قام به النبيّ ﷺ وتأثير رسالته المباركة في النّقلة الحضارية الكبرى لإنسان هذه البقعة الجغرافية التي كانت همومها وآمالها تؤطّرها هموم وآمال القبيلة، حيث لم تعرف الدولة وقوانينها ولم تحمل مظاهر الحضارة، حتّى إذا ظهر الرسول ﷺ وأسّس الدولة الإسلامية في المدينة المنوّرة حدث التحوّل التاريخي في حياة إنسان الجزيرة وما جاورها.

٢. إنّ دراسة الظواهر والحالات التي كانت تكتنف المجتمع الجاهليّ قبل الإسلام تسهم في التعرّف أوّلاً على قيم هذا المجتمع وأحواله، كما تساعدنا أيضاً في التعرّف على الدّور الذي أدّته الرسالة في تحرير هذا الإنسان، ونقله إلى عالم أرحب هوعالم العدالة وكرامة الإنسان والمساواة التي لم يكن ينعم بها ولم يتعرّف عليها الإنسان من قبل.

---

١. *التاريخ الإسلامي العام*: ٤٨١ ـ ٤٨٢.

٢. *محاضرات في تاريخ العرب*: ١٥٥.

الأسئلة

١. ما هي أهمية دراسة أحوال المجتمع الجاهلي قبل الإسلام؟
٢. لماذا أُطلق مصطلح الجاهلية على العصر السابق لعصر الرسالة الخاتمة؟
٣. أذكر الآية التي استعملت مصطلح الجاهلية، وأوضح المقصود منها.
٤. تحدّث باختصار عن الحالة السياسية في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام.



٦

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر الجاهلي

الحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية في جزيرة العرب تشمل الزراعة، والرعي، والصناعة، والتجارة، وهذه الأخيرة هي أساس حياتهم الاقتصادية.

فأما الزراعة: فكانت محدودة في مناطق معينة، وأهمها يثرب والطائف، واليمن، والسبب هوطبيعة أرض الجزيرة الصحراوي.

وأمّا الرعي: فكان مورد الرزق لأهل البوادي، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للكلأ والماء.

وأما الصناعة: فلم تعرف شبه الجزيرة العربية ذلك، إلاّ اليمن، والحيرة، ومشارق الشام، فقد امتازت بالحياكة، والدباغة، والنجارة، وصناعة الحديد والآلات الحربية، واستخراج المعادن وغيرها.

وكان اليهود في يثرب ينتجون الأدوات الزراعية وصناعة الأسلحة.

وأمّا التجارة: فكانت عماد اقتصادهم، وأكبر وسيلة للحصول على مستلزمات الحياة، وأكبر مصدر للثروة.

وتوزعت الطرق التجارية في أنحاء الجزيرة، وكانت أشهر الطرق هي التي تربط

اليمن ببلاد الشام، وكانت مكة ملتقى القوافل التجارية التي تسلك تلك الطرق.

وكان العرب يستوردون من الشام: القمح، والدقيق، والخمر، ومن الحبشه البخور، والجلود، والتوابل، والعطور، والعاج، والرقيق، ومن الهند: الذهب، والعاج، والأحجار الكريمة، والمنسوجات، وخشب الصندل، وغير ذلك ويُصدّرون إلى البلاد الأخرى: الزيت، والسمن، والصوف، والوبر، والجلود.

ولهم أسواق كانوا يقيمونها شهور السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها العرب للبيع والشراء.

وأهم هذه الأسواق: عكاظ، وذوالمجاز، ومجنة في مكة، وحباشة في تهامة، وسوق عدن، وسوق الرابية بحضرموت.

وكان أهل الحجاز يتعاطون الربا، وكان فاشياً بينهم.

الحالة الاجتماعية

ونعني بالحياة الاجتماعية: الأسرة ونظامها، وعاداتها و تقاليدها وما تفتخر به منها، أو تعيّر به، و نظام المجتمع الممثّل بالقبيلة و طبقاتها و أنسابها، وفئاتها.

والقبيلة هي النواة التي يتألف منها المجتمع في العصر الجاهلي. هي الوحدة السياسية والاجتماعية في العصر الجاهلي. يجمع أفرادها الإشتراك في النسب و الموطن و الأعراف والتقاليد، وأهم رباط في النظام القبلي هو (العصبيّة)؛ وتعني: نصرة ذوي الأرحام من أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة. وكل فرد في القبيلة حريص على هذه الرابطة، يعمل من أجلها و يدافع عنها بكلّ ما يملك، وعلاقة كل فرد بأفراد القبيلة يجمعها مدلول هذه الكلمة الجاهلية «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وأفراد القبيلة مرغمون على الخضوع لنظام القبيلة، وتعتبر بعض المظاهر الاجتماعية من أمثال: الثأر والتناحر، والتعصب، والنجدة، من آثار تلك العصبيّة القبلية.

وللقبيلة شيخ أو رئيس يتزعمها في السلم و الحرب.

وأما المدن، فكان يسكنها أسر قوية تحكم تلك المدن، كقريش في مكّة، و كِنْدة في «نجد» و غيرهما.

والمرأة في المجتمع الجاهلي مهضومة الحقوق، فأموالها تبتز، وإرثها يؤكل، وتترك أحياناً كالمعلقة من قبل زوجها، وتورث كما يورث المتاع.

وأما علاقة الرجل بأولاده: فبسبب خوف العار كانت بعض القبائل تأدِ البنات، ولدفع الشؤم عنهم إذا كانت في البنت عاهة بدنية يأدونها أيضاً، وخوف الفقر، عامل آخر كان يدفعهم لوأد البنات.[1]

والذي يرث من الأولاد هم الكبار الذين يستطيعون أن يقاتلوا، وأما النساء والبنات والصبيان فلايرثون شيئاً.

وأمّا العادات: فهي على قسمين:

الأول: العادات الحميدة: فالوفاء كان أمراً مقدّساً يتمسّكون به، وإغاثة الملهوف، وإقراء الضيف، والكرم وغير ذلك.

الثاني: العادات السيئة: مثل لعب القمار ـ المعروف بالميسر ـ حتى كان الرجل يقامر على أهله. وشرب الخمر والغش، والخديعة، وأمثال ذلك.

خلاصة الدرس

١. إنّ أهم عصب للحياة الاقتصادية في بلاد الجزيرة هوالتجارة ولذا اهتم العرب بذلك أشد الاهتمام، وتعاهدوا مع القبائل التي تقع في الطرق التجارية لضمان سلامة القوافل.

٢. تعتبر الحركة التجارية في بلاد العرب ظاهرة حضارية لها ميزتها.

---

١. راجع: *تاريخ الطبري*: ١٤٧/٢؛ *تاريخ الأدب العربي*: ٨١/١ ـ ٨٥؛ *تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي: ٣٩٩/٥.

٣. تعتبر المرأة في المجتمع الجاهلي وعاء لإنجاب الأولاد وأداة للخدمة، إلاّ من بعض الأسر.

٤. الأسرة، و نظامها، وعاداتها، و تقاليدها، وما تفتخر به أو تعيّر نواة القبيلة به، والقبيلة هي النواة التي يتألف منها المجتمع الجاهلي.

٥. إنّ الحياة الاجتماعية كانت مترديّة بالجهل المتفشي، والخرافات كان لها موقعها في نفوسهم، والناس طبقات بين مترف و معدم: ووأد البنات أسوأ اظاهرة اجتماعية حينذاك.

الأسئلة

١. لماذا كانت الزراعة محدودة في بلاد الجزيرة؟

٢. هل عرفت الجزيرة الصناعة وأين؟

٣. ما هي أهم البضائع التي كان يستوردها العرب؟

٤. ما هومد لول الشعار الجاهلي: «انصر أخاك ظالماً او مظلوماً؟

٥. ما هي أهمّ مميزات الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي؟

٦. ما هي أسوأ ظاهرة اجتماعية في العصر الجاهلي؟

٧

بيئة الرسالة الإسلامية دينياً وثقافياً

الحياة الدينية والفكرية عند العرب قبل الإسلام

١. الحياة الدينيّة: ونقصد بالحياة الدينيّة: ما كان يعتقده العرب في العصر الجاهلي، فقد كانت الوثنية هي الدين الشائع والسائد في جزيرة العرب، أمّا الاصنام فهي تماثيل الإنسان تصنع من المعدن و الخشب، وأمّا الأوثان فهي تماثيل الإنسان تصنع من الحجر. وغير الوثنية فهناك بعض الأديان مثل:

أ) **عبادة الكواكب**: ففي اليمن وحرّان وأعلى العراق، كان فئات من النّاس يعبدون الكواكب والنّجوم وكانت هذه الديانة قد جاءتهم من الصابئه، وبقايا الكلدا نيين.

ب) **المجوسيّة**: وكان في البحرين و عُمان وفي العراق فئات من النّاس يعتقدون الديانة الزرادشتيّة ـ المجوسيّة ـ التي تقدّس النّار، وتعتبرها عنصر خير لأنّها مصدر النّور، وكان مهد هذه الديانة بلاد فارس.

ج) **النّصرانية**: وفي شمال الجزيرة العربية، كما في قبائل تغلب، وقضاعة، وغسّان، وفي جنوبها في اليمن حيث تخضع هذه القبائل لسيطرة الرومان النّصارى، كانت تسود الديانة النصرانيّة.

د) **الحنيفيّة**: «دين ابراهيم الخليل عليه السلام، كانت الحينفيّة دعوة ابراهيم عليه السلام لعبادة الله

وحده، وقد انتشرت في شمال الجزيرة العربية، ظل بعض العرب يحجّون الى البيت العتيق، و كان آباء النبيﷺ على دين ابراهيم موحدّين.

ه) اليهوديّة: استقّرت اليهودية في اليمن، وفي وادي القرى، وفي خيبر، وفي فدك وفي تيماء، وفي يثرب وما حولها حيث بنوقريظة، وبنوالنّضير، وبنوقينقاع وهذه تجمّعات يهوديّة لها وزنها سياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً.

و) الوثنية: كانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، حتى لتعتبر الديانة الأكثر أتباعاً والأكثر انتشاراً فيها.

ويقال: إنّ أصل عبادة الأصنام حدثت عندما كثر أبناء إسماعيلعليه السلام، واضطرّوا أن يخرجوا من مكّة طلباً للعيش، فكانوا يحملون عند خروجهم شيئاً من تراب الحرم الذي يحمل ذكرى الكعبة، أثر أبيهم إسماعيل، ثم حملوا هذا التراب للحفاظ عليه، و تكريماً له وتقديراً لمكانتها، وحبّاً لمكّة وقداستها، فحيثما حلّ وضعه وطاف به كماكان يطوف بالكعبة. وتطوّرهذا التعظيم إلى عادة، تم صار تقديساً، فعبادة ثم شاعت تلك العبادة حتى وصلت مكّة مرة ثانية، إذ أصبحت مقرّ عبادتهم ومكان أصنامهم.

٢) أصنام العرب: ومن أصنامهم المعروفة في كتب التاريخ والقرآن الكريم هي: مناة، واللاّت، والعُزّى، وهُبل، وإساف ونائلة، ودّ، ويغوث، ويعوق، ونَسْر، وجهار، وشمس.

٣) إيمان الوثنيين بالله تعالى: كان العرب وثنيين يعبدون الأصنام، وقد اعتقدوا خطئاً أنّها تقربهم إلى الله زلفى، وأنّها تشفيهم من الامراض، وتنزل عليهم المطر، وتجلب لهم الخير، وتمنع عنهم الشرّ. وهم لا يعبدون هذه الأصنام إلاّ لتكون وسيلتهم إلى الله، كما قال تعالى على لسانهم ﴿...وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى...﴾[1] وبذلك وقعوا في مفارقات غريبة لا يقبلها عقل، ولا يقرُّها منطق.

---

١. الزمر: ٣.

الحالة الثقافية: اتّفقت كلمة المؤرّخين على أنّ العرب ـ قبل بعثة الرسولﷺ ـ كانوا يتّصفون بالأمّيّة، وسجّل القرآن هذه الحقيقة عندما قال:

﴿هُوالَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[١]

ولا ننكر أنّ العرب كانوا على علم بالنّجوم والطبّ ولكن علمهم بالنّجوم كان لا يتعدّى مقدار احتياجهم إليها كأداة من أدوات الاستدلال على الاتجاهات في الصحراء التي تنعدم فيها معالم الطّرق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَهُوالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.[٢]

وأمّا علمهم بالطبّ فإنّه كان لا يتعدّى الوصفات الشعبيّة المتداولة المبنيّة على أساس من التجربة لا على أساس من العلم،[٣] وعندهم علم الأنساب، وعلم الأثر و القيافة.

ونستطيع أن نحصر علوم العرب في عِلْمَيْن أساسيّين هما: التاريخ واللّغة

ونريد بالتّاريخ: أيّام العرب وأنسابهم، ولعلّ ذلك من لوازم الحياة القبليّة، حيث كان رجال القبيلة يسمرون فيقصّ بعضهم على بعض أيّام العرب، ويذكرون أنسابهم فيتفاخرون بها فيما بينهم.

خلاصة الدرس

١. تعدّدت الأديان التي كانت منتشرة قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربيّة والمناطق المحيطة بها.

٢. فبالإضافة إلى الحنيفية، والمسيحية واليهودية، كانت المجوسية، وعبادة

---

١. الجمعة: ٢.

٢. الأنعام: ٩٧.

٣. *نور العيون وجامع الفنون*، المقدّمة، تحقيق الدكتور محمد رواس.

الأصنام والكواكب، وكانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية وهي أكثر الأديان أتباعاً.

٣. أمّا بالنّسبة للحالة الثقافية فقد أكّد المؤرِّخون على أنّ الأميّة كانت منتشرة في الجزيرة وسجّل القرآن الكريم هذه الظاهرة في سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿هُوالَّذي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ..﴾ وكان العرب يهتمّون بتاريخ الوقائع وأيّامهم والأنساب، ولم يَعرف العرب وقتئذ الفلسفة ولا العلوم الأخرى.

الأسئلة

١. ما هي الأديان التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وفي أطرافها؟
٢. كيف نشأت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية؟
٣. أذكر أصنام العرب وأوثانهم في الجاهلية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.
٤. ما هوالمستوى الثقافي للعرب قبل الإسلام؟ وما نوع ثقافتهم؟

ظهور فجر الإسلام



٨

البعثة النبويّة المباركة

جاء الإسلام ديناً جديداً، بقيم جديدة، لا يعرفها أهل الجاهلية؛ فأحدث تغييراً جذرياً في الحياة العربية بمختلف مجالاتها، ويتفرّد عصر صدر الإسلام بأنّه عصر تمّت فيه أكبر نقله حضارية في زمن قصير، ونستطيع أن نقسّم هذا العصر إلى عهدين: العهد المكّي، والعهد المدني.

تاريخ البعثة النبويّة المباركة

تحدّثنا المصادر التاريخية عبر الروايات الموثّقة أنّ النبيّ محمداًﷺ كان على علم بأنّه سيكون رسولاً[1] ولكنّه لم يطلب منه القيام بمهمّة الرسالة إلاّ بعد أن بلغ الأربعين،[2] والمعروف عند أهل البيتعليهم السلام ـ وهم أدرى بما في البيت ـ أنّ البعثة النبويّة المباركة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب الأصبّ.

فعن الإمام الصادقعليه السلام: أنّه اليوم الذي أُنزلت فيه النبوّة على محمّدﷺ،[3] وعن

---

١. *المناقب*: ٤٣/١؛ شرح *نهج البلاغة*: ٢١٧/١٣.

٢. *الطبرى*: ٣٨٧/٢؛ *والمناقب*: ٤٤/١ عن القمي؛ ورواه الراوندي في *قصص الأنبياء*: ٣١٨.

٣. *الكافي*: ١٤٩/٤ طبعة الآخوندي.

الإمام الهادي عليه السلام أنّه: يوم بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى خلقه رحمةً للعالمين.[١]

ويؤيّده ما رواه في *كنز العمال* عن البيهقي، وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، وما رواه الحلبي عن الدمياطي في *سيرته* عن أبي هريرة.[٢]

نعم، هناك من ذهب إلى أنّ البعثة كانت في ربيع الأوّل، أوشهر رمضان؛ استناداً إلى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾[٣] زاعماً اقتران البعثة بنزول القرآن.[٤]

أوّل ما نزل من القرآن

اتّفقت نصوص كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم على أنّ أوّل ما نزل من القرآن هومطلع سورة العلق (وهي الآيات الخمس الأولى). ولم يذكر فيها بصراحة أنّ نزول هذا المطلع كان مقارناً لبدء البعثة النبويّة المباركة.

ولكنّ الطبرسي روى عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حديثاً جاء فيه أنّ أوّل ما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله بمكّة هو (فاتحة الكتاب)، ثمّ (إقرأ)، ثمّ (ن والقلم).[٥]

ويؤيّده ما رواه الواحدي في *أسباب النزول* بسنده عن شرحبيل بن عمرو.[٦]

وعلى أيّ حال فلا مانع من سبق البعثة النبويّة وتقدّمها على نزول مطلع سورتي «العلق» أو «الحمد» من *القرآن الكريم*.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ١/٤٣٨.

٢. *السيرة الحلبية*: ١/٣٨٤.

٣. البقرة: ١٥٨.

٤. *تاريخ الطبرى*: ٢/٤٤؛ *تاريخ اليعقوبى*: ٢/٢٢.

٥. مجمع *البيان*: ١٠/٤٠٥.

٦. *أسباب النزول*: ١١.

وعلى هذا يصحّ أن تكون البعثة وبداية الوحي غير القرآني في رجب، ويكون بدء الوحي القرآني في شهر رمضان.[١]

وهناك من النصوص ما يقدّر هذا الفاصل بثلاث سنين وهوفترة الدعوة السريّة. وعلى هذا فالتسلسل الطبيعي للأحداث يكون كالآتي:

١. بُعِثَ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين في السابع والعشرين من رجب.

٢. والتحق به خاصّته من أهل بيته (عليّ وخديجة عليهما السلام) في يوم الثلاثاء، وأعلنا إيمانهما بنبوّته والسير على هديه، وتعاهدا معه لمؤازرته والدفاع عنه، ولم يكتما إيمانهما به ولا الاتّباع له، حيث إنّهما كانا يصلّيان معه في فناء الكعبة أمام عامّة الناس.[٢]

٣. واستمر ذووه بالإلتحاق به، فالتحق جعفربن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبوطالب عليه السلام، واطّلع عامّة بني هاشم على نبوّته من دون أن يطلب منهم الإيمان أوالنصرة والمؤازرة في بداية الأمر حتّى نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ حيث استكملوا الأربعين.[٣]

٤. والتحق به بالتدريج جمع غفير من سائر القبائل. لا يساعد عليه الدليل

٥. ثم حدّدت له الآيات القرآنية تاريخ البدء بإنذار العشيرة الأقربين بشكل خاص وطلب منهم الإيمان به والنّصرة لدينه والمؤازرة له.

---

١. ولا ينبغي أن نغفل عن محاولة العلاّمة الطباطبائي، للتوفيق بين نصوص البعثة في ٢٧ رجب ونصوص نزول القرآن في شهر رمضان، وهي تبتني على التسليم باقتران بدء نزول القرآن بالبعثة النبويّة فيكون نزول مطلع سورة العلق في ٢٧ رجب و هو بدء النزول التدريجي للقرآن ونزول القرآن في شهر رمضان، هوالنزول الدّفعي وهونزول مجموع القرآن الكريم على قلب الرسول العظيم صلى الله عليه وآله.

٢. كما تشهد له قصّة عفيف الكندي. راجع *إعلام الورى*: ٣٨١. وقد وردت نصوص متعدّدة عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصرّح فيها بأنّه قد عبد الله مع النبّي قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة سبعاً أوثلاث سنين، ورسول الله صامت لم يؤذن له بالإنذار والتبليغ [راجع شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد: ١/١٥و١٣/٢٢٩].

٣. الشعراء: ٢١٤.

٦. ثمّ أُمر بإنذار عامّة الناس بعد أن أحكم أساس دعوته بالإعلان عن وجود من يخلفه في هذا الطريق الربّاني ويرعى مسيرته، وهوربيبه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي أعلن بكلّ صراحة وشجاعة عن مؤازرته له والدفاع عنه أمام بني هاشم، وبني المطّلب (عشيرته الأقربين) في القصّة المعروفة بحادثة (يوم الدار).

مراحل الدعوة والتبليغ في العهد المكّي

وإذا قسّمنا عصر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عهدين متميّزين: العهد المكّي والعهد المدني؛ فلنا أن نقسّم كل عهد منهما إلى مراحل. وعليه نستطيع أن نقسّم العهد المكّي إلى ثلاث مراحل هي:

١. مرحلة إعداد القاعدة الأُولى، أوبناء النواة الجهادية الأُولى للدعوة.

٢. مرحلة إعلان الدعوة، وبداية المواجهة والصراع مع الوثنيّة والشرك.

٣. مرحلة الامتداد والهجرة بعد اشتداد الصراع وتصاعد المواجهة.

التوجيهات القرآنية ومنهج الحركة الإسلامية

حين نستقرئ الأوامر الأُولى الموجّهة إلى الرسول صلى الله عليه وآله في مطالع السور الأُولى، نحصل على منطلقات ومنهج الحركة الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم للرسول العظيم صلى الله عليه وآله ولأتباعه المؤمنين برسالته وهي كَالآتي:

١. التثقيف والتعليم على أساس الهَدْي الربّاني: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،[1] و ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.[2]

---

١. العلق: ١ـ٥.

٢. المزمّل: ٤.

٢. التربية على العبادة والخضوع التامّ والذكر الدّائم لله تعالى والتوكّل عليه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ...وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ.. وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوفَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.[1]

٣. القيام والحركة لله وتكبيره وتعظيمه كما ينبغي: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.[2]

٤. ترك الذّنوب والموبقات وتجنّب الإنحرافات على جميع المستويات: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾.[3]

٥. الصبر والإستقامة والصمود حتّى تحقّق النصر: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾.[4]

٦. اللّين في التعامل من دون إدهان: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾،[5] ﴿وَدُّوا لَوتُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.[6]

٧. عدم إطاعة المكذّبين وعدم الخضوع لهم أوالانخداع بأساليبهم: ﴿فَلاَتُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ.. وَلاَتُطِعْ كُلَّ حَلاَّف مَهِين..﴾.[7]

وتهدف الرسالة الإسلاميّة في كلّ مراحلها وبكلّ أساليبها إلى تربية الإنسان المسلم على مكارم الأخلاق ومعاليها، والابتعاد به عن سفاسفها من خلال التأسّي بالرسول الخاتمﷺ، والالتزام بالأحكام الإلهيّة، والتسلّح بالرؤية التوحيديّة للوجود والحياة.

---

١. المزمّل: ٢ـ٩.

٢. المدّثر: ٢ـ٣.

٣. المدثر: ٤ـ٦.

٤. المزمّل: ١٠ـ١١.

٥. المزمّل: ١٠.

٦. القلم: ٩.

٧. القلم: ٨ـ١٦.

فالقرآن الكريم، رسم الخطوط العريضة للرصيد الفكري والقيمي لهذه الحركة الإلهية المباركة مضافاً إلى السنّة النبوية المطهرّة.[1]

خلاصة الدرس

١. كان النبيّ محمدﷺ مؤيّداً مسدّداً قبل البعثة المباركة من قبل السماء، وقد تولّى الله تعالى تربية، ثم بعثه رسولاً وهو ابن أربعين سنة قبل أن ينزل عليه القرآن الكريم في يوم الإثنين في السابع والعشرين من شهر رجب المرجّب.

٢. كان أوّل ما نزل من القرآن حسب أكثر النصوص عند الفريقين، هومطلع سورة العلق، وكانت سورة «الحمد» و«المزمّل» و«المدثّر» و«القلم» و«المسد» هي السور التالية لها التي رسمت للنّبيّﷺ منهج الحركة والدعوة إلى الله سبحانه. وقد آمن بالنبيﷺ مع زوجته خديجةﷺ، ربيبه وابن عمه علي بن أبي‌طالبﷺ، وغلام خديجة زيد بن حارثة، وابن عمّه جعفر بن أبي‌طالب، حتّى تكامل المسلمون أربعين شخصاً خلال ثلاث سنوات.

٣. تنقسم مراحل الدعوة للإسلام، دين الله الخالد في العهد المكّي إلى ثلاث مراحل: مرحلة إعداد القاعدة الأولى، ثمّ مرحلة الإعلان وبداية المواجهة، ثمّ مرحلة الامتداد والهجرة.

الأسئلة

١. متى بعث رسول‌اللهﷺ؟ وفي أيّ يوم وأيّ شهر؟ وكم كان عمره الشريف؟

٢. متى نزل القرآن الكريم؟

٣. إذا كان القرآن قد بدأ نزوله يوم البعثة المباركة، وكانت البعثة في رجب، فكيف

---

١. العلق: ١ـ٥؛ والقلم: ٤.

تجمع بين هذا، وبين النّصوص الدّالة على نزول القرآن في شهر رمضان؟

٤. ما هوأوّل ما نزل من القرآن على قلب الرسول الكريم؟

٥. من هم المؤمنون الأوائل الذين آمنوا بنبوّة محمّدﷺ؟

٦. تحدّث عن مراحل الدّعوة في العهد المكّي.

٧. ما هومنهج الحركة حسب التوجيهات القرآنيّة الأولى؟

٨. حدّد أهمّ أهداف الرسالة الإسلامية؟ وما هورصيدها الفكري والقيمي؟



٩

من الدّعوة الخاصّة حتّى الإعلان العامّ

المرحلة الأُولى من العهد المكّي

وهي المرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، وقد اصطلح عليها المؤرّخون والباحثون بالمرحلة (السرّية) حيث اقتصر تحرّك الرسولﷺ على من كان يمتلك سلامة الفطرة، وكان عنده ميل للإسلام؛ ولهذا اقتصرت الدعوة حينئذ على جملة من المستضعفين في مكّة وعلى عشيرة الرسولﷺ، وكانت أمام الرسولﷺ نقطتان هامّتان في هذه المرحلة وهما:

١. بناء النواة الجهادّية الأُولى للدّعوة.

٢. حماية هذه النواة والمحافظة عليها.

١. بناء النواة الجهادية الأُولى

إنّ بناء وإعداد الجماعة الصالحة تكون بمثابة القاعدة الطليعيّة للدعوة، وإنّ مرحلة البداية والانطلاق في تاريخ الدعوة تعدّ من أهمّ المراحل الأساسية التي تواجهها الدعوات، ولابدّ من التخطيط لها بما يتناسب مع الأهداف والظروف المحيطة بها، مع ملاحظة المهمّة والمسؤولية المتعلّقة بالجانب التغييري بأبعاده الفكرية والإجتماعية في مجتمع جاهلي يؤمن بأرباب متفرّقة، وعلاقاته القائمة على

أساس الاستعباد والرقّ وسيادة (الملأ) الذين ارتبطت مصالحهم واستمرار سلطانهم بعبادة الأوثان وتقديسها.

وقد كشفت وقائع السيرة في المراحل التالية[1] مدى خطورة هذه المرحلة، لا سيّما إذا لاحظنا مدى عنف ردّ الفعل الذي جوبهت به الدعوة والمؤمنون بها من قبل المجتمع الجاهلي يومئذ.

لقد كان ردّ الفعل هذا ـ وما اتّسم به من العنف بأقصى مداه ـ يعكس إدراك الملأ القرشي لمدى خطورة هذه الدعوة وما تبشّر به من مبادئ العدل والأخوّة بين الناس والمساواة المؤدّية الى تحطيم مصالحهم المادّية غير المشروعة ومواقعهم الاجتماعية.

إنّ خطوات الرسول القائدﷺ كانت ذات أثر كبير في إكمال البناء الأوّل وإعداد القاعدة الطليعية لحمل الرسالة والحفاظ عليها. فمن خطواته صلوات الله عليه وآله في هذا الاتّجاه:

١. اختيار الأشخاص الذين يتمتّعون بمواصفات خاصّة تتناسب مع عظمة الرسالة.

٢. الحيطة والحذر في التحرّك والكتمان مهما أمكن.

٣. اتّخاذ مقرّ خاصّ للقاءات (وهودار الأرقم).[2]

٤. التأنّي والدقّة في التعامل، وعدم التظاهر بالممارسات العباديّة الجديدة.

٥. التعليم والتربية الفكرية والأخلاقية والروحيّة على أساس مفاهيم وقيم الرسالة الجديدة. وهوأهمّ عناصر البناء والإعداد الرسالي، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿هُوالَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُمْ يَتْلُوعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.[3]

---

١. *سيرة ابن هشام*: ٤٦/١ وما بعدها.

٢. *تاريخ الطبري*: ج١ تاريخ ما قبل الهجرة.

٣. الجمعة: ٢.

٢. حماية النواة الأُولى والمحافظة عليها

تواجه كل الدعوات والحركات تحدّياً كبيراً يهـدّدها بالإضعاف والانحراف، إن لم تتّخذ التدابير الوقائية اللاّزمة للحيلولة دون ذلك.

والتـاريخ البـشري مليء بالتجارب التـي تمكّنـت مـن تحقيـق انطلاقـات كبـرى ومكاسب مهمّة، لكنّها سرعان ما تلاشت وأخذت اتّجاهات أُخرى سارت بها بعيداً عن منطلقاتها وأهدافها.[١]

في حين أنّ النواة والقاعدة الأُولى للدعوة الإسلامية قد تجاوزت ذلك، بفضل القيادة الحكيمة المتمثّلة في شخصية الرسول الأعظمﷺ التي لم تعرف الإنسانية مثيلاً لها على امتداد تاريخها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الرسالة الإسلامية دعوة تغييرية كبرى، تهدف إلى إحداث تحوّل شامل وعميق في حياة الإنسانية تنتقل عبره من الظلمات إلى النّور.

وعليه تكون الحاجة ملحّة إلى حماية البناء الأوّل وإحكامه، حيث يعدّ قاعدة التحرّك في مواجهة الوثنية العالميّة ووسائلها المتعدّدة، فإنّ طبيعة الدعوة والرسالة الإلهية، تناقض بصفة جذريّة أُصول ومرتكزات الفكر والحياة الجاهليين في الاعتقاد وطريقة التفكير وطريقة العمل وأنواع العلاقات، فهي تمثّل ردّاً حاسماً على كل القيم الجاهلية وانقلاباً جذرياً على ثقافة العصر وممارساته ومطامحه القريبة والعاجلة.[٢]

والقرآن العزيز يوضّح مستوى ثقافة الأمّة في زمن النبيّﷺ، ومدى سيطرة الجهل عليهم من خلال تصويره لبعدهم عن الثقافة الإلهية، حيث لم ينذَروا من قبل، ولم يرسل إليهم رسول؛ ليقوم بمهمّة الإنذار والدّعوة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ﴾.[٣]

---

١. *بين الرشاد والتيه*: ١٤.

٢. *دراسة في السيرة*: ٩٩، بتصرّف.

٣. يس: ٦ ـ ٧.

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾.[١]

أي انّهم درجوا على اللّجاج والجدال بالباطل والإعراض عن الحقّ والمكابرة فيه.

كما قرّر القرآن حقيقة أُخرى كان يعيشها المجتمع الجاهلي وهي الصدارة الاجتماعية المبنيّة على الثراء والجاه، من هنا كانوا يرون أنّه لابدّ أن يُنزّل القرآن على أحد رجلين كانا يتمتّعان بمنزلة دنيوّية اجتماعية رفيعة في ذلك المجتمع.

قال تعالى: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.[٢]

فالدعوة في هذه الفترة كانت في حاجة أكيدة إلى نماذج نوعيّة أكثر قابليّة للانضباط، وذات الاستعداد العالي للعطاء لبناء قاعدة قادرة على النهوض الحقيقي والاضطلاع بالمشروع الإسلامي على طول الخطّ، ولاسيّما في مرحلة الانطلاق للدعوة العامة بشكل خاص حتى إقامة الدولة والمجتمع الإسلامي المنشود.

المرحلة الثانية من العهد المكّي

وهي المرحلة التي تبدأ بإنذار عشيرته الأقربين. وقدا اصطلح عليها بحادثة (يوم الدار)، ثمّ القيام بالدعوة العامّة في مكّة من أجل توسيع دائرة حركتها وتأثيرها في المجتمع المكّي وغيره من المجتمعات.

وبعد أن اجتاز النّبيّ صلى الله عليه وآله المرحلة الأولى بنجاح تام، وهيّأ القاعدة الأولى للانطلاق حيث بلغ عدد المسلمين أربعين رجلاً وإمرأة، أنزل الله سبحانه عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.[٣]

ولمّا نزلت هذه الآية المباركة أمر النبيّ صلى الله عليه وآله ربيبه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

١. مريم: ٩٧.

٢. الزخرف: ٣١.

٣. الشعراء: ٢١٤.

أن يصنع طعاماً ويدعوبني عبدالمطلب وبني هاشم، فصنع عليﷺ ذلك. ولمّا أكلوا وشبعوا، قال لهم الرسولﷺ:

«إنّه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة»، ثم قال لهم: «من يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي ووصيّي وخليفتي عليكم»؟ فلم يجبه أحد غير عليّﷺ ثلاث مرّات، فأمرهم النبيﷺ بعد ذلك بالسمع له والطاعة، فأخذ القوم يضحكون، يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لابنك.[1]

وهكذا كان التأسيس الإلهي لولاية عليﷺ وخلافته جنباً إلى جنب مع الإعلان عن الرسالة ودعوة الناس إليها.

وذكر اليعقوبي: أنّهم قد اجتمعوا في دار الحارث بن عبدالمطلب، وبعد أن أكملوا الطعام تكلّم رسول اللهﷺ فأنذرهم كما أمره الله، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وأعلمهم تفضيل الله إيّاهم واختصاصه بهم إذ بعثه بينهم...

فقال أبولهب: خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإنْ منعتموه قُتلتم، وإن تركتموه ذللتم.

فقال أبوطالب: «يا عورة! والله لننصرنّه ثمّ لنعيننّه. يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعوإلى ربّك فأعلمنا حتّى نخرج معك بالسلاح».[2]

وهكذا انفضّ الاجتماع عن إعلان عميد البيت الهاشمي (أبيطالب) بقرار البيت الهاشمي: ألا وهوحماية النّبيّﷺ وعدم تسليمه إلى المكذّبين برسالته.

الإعلان العامّ

وبعد أن تمّ بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة أصدر الله (عزّوجلّ) أمره إلى رسوله

---

١. *تاريخ الطبري*: ٦٢/٢.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢٧/٢.

الكريم(ﷺ) أن يتجاوز هذه المرحلة، فيجهر برسالته ودعوته. وبالفعل لقد صدع الرسولﷺ بالأمر، ولكنه واجه من قومه الصدّ والاعتراض خصوصاً من وجهاء مكّة، ومنذ تلك اللحظة بدا الصراع لواضح المكشوف بين المعسكرين: معسكر الشرك ومعسكر الإيمان.

والمسلمون لم يؤمروا بالعنف ـ طيلة العصر المكّي ـ لئلا يتعرّضوا لعملية إبادة تحقّق للوثنيّة ما كانت تأمله وترجوه.

وقد بدأ الملأ من قريش نشاطهم المضادّ في سلسلة من الاتصالات المبطّنة بالوعد والوعيد مع أبي‌طالبعليه السلام والنبي محمّدﷺ، وقد أعقبت جميعها فشلاً ذريعاً حيث أعلن النبيﷺ عن موقفه الذي لا مهادنة فيه ولا مساومة في كلمته الحاسمة والمعروفة: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر أوأُقتل دونه ما تركته...».[1]

وهنا قرر الوثنيون استخدام أساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسيّة لإيقاف الخطر الجديد المحدق بهم وبمصالحم. وانقضّت كلّ عشيرة على أبنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيباً وتحطيماً للمعنويات واضطهاداً، لهم ولم ينج الرسولﷺ نفسه من هذا البلاء، باتهامه بالجنون، او بالسحر والتشكيك بالرسالة، غير ذلك.

ولكن كان الرسولﷺ يبثّ في أصحابه روح الثبات والمقاومة، ويرسم لهم بالهدي الإلهي، الطرق والأساليب التي تقترب بهم يوماً بعد يوم من الهدف الذي كان الرسولﷺ قد وعد أصحابه ببلوغه مهما عظمت المصائب... ولم يكن التخطيط للهجرة إلى الحبشة، والاتّصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة إلى مكّة، والذهاب إلى الطّائف، ولقاءات العقبة الثلاثة إلاّ خطوات على الطريق.

---

١. *السيرة النبوية*: ٣٢٩/١.

وبعد أن شعرت قريش أنّها قد أخفقت في كلّ الأساليب التي اعتمدتها للحدّ من انتشار الرسالة التي حملها الرّسول محمّدﷺ، رأت في أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن تستخدم سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب جماعي للمسلمين وحماتهم من بني هاشم وبني المطلب، لعلّها تضعف قدرة أتباع النبيّﷺ على المقاومة، وتدفع حماتهم إلى أن ينفضّوا من حولهم ويتركوهم لوحدهم، معزولين، مجرّدين من الحماية، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التي اجتاحت صدور المشركين وساحات مكّة، إلاّ أنّ السلاح الجديد قد ثلم هوالآخر أيضاً إزاء مقاومة المسلمين وبنيهاشم وعلى رأسهم أبيطالبعليه السلام حامي الرسولﷺ وناصره على طول الخطّ.

وهكذا استتبع إعلان الدعوة العام المواجهةَ من قبل رموز الجاهليّة الذين عبّر عنهم القرآن الكريم (بالملأ) وكانت قريش ببطونها هي المخاطب الأوّل لدعوة النبيﷺ، وكانت استجابتها ـ وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة ـ تشكّل منعطفاً كبيراً في تقدّم الرسالة، كما كان إحجامها وتلكّؤها يشكّل عقبة كؤوداً أمام حركة الرسالة وتطوّرها.

خلاصة الدرس

١. بدأ الرسول الأعظمﷺ دعوته إلى الإسلام سرّاً، وكان عليّ بن أبيطالبعليه السلام ربيبه وابن عمّه أوّل المؤمنين برسالته، وأوّل من عبد الله مع رسوله.

٢. كانت أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلدعليها السلام أوّل امرأة آمنت به وبرسالته، ثمّ آمن زيد بن حارثة من المسلمين أوجعفر بن أبيطالب من بني هاشم، واستمرّت الدعوة حتّى بلغت القاعدة الأولى أربعين شخصاً من رجال ونساء.

٣. أمر النبيﷺ بإعلان الدعوة وابتدأ بعشيرته الأقربين، وأسفر الإجتماع ببني المطّلب وبني هاشم عن إعلان النبوّة وولاية العهد معاً، وأعلن أبوطالبعليه السلام حمايته

للنبيﷺ ودعوته بالرغم من وقوف أبي لهب في الموقع الأوّل من المواجهة.

٤. بدأت الدعوة العامّة وأخذ الملأ من قريش يخطّطون لتحجيم الرسولﷺ وحركة الرسالة، ويطوّرون أساليبهم في أجهاض الدعوة الإسلامية حسب تطوّر الحركة الرساليّة بالتدريج.

الأسئلة

١. أُذكر أهمّ المشاكل التي واجهها النبيﷺ في المرحلة السريّة.

٢. ما هوالأمر الهامّ الذي دعا النبيﷺ عشيرته الأقربين من أجله؟

٣. ماذا يمكن أن يستفاد من نصّ النبيّﷺ يوم الدار حول ارتباط وعلاقة الرسالة والإمامة؟

٤. وضّح السبب في إيكال النبيﷺ أمر الدعوة وإعداد الطعام لعشيرته الى الإمام عليعليه السلام.

٥. متى أُمر النبيﷺ أن يجهر بالإسلام، وما هي نتائج هذا العمل لدى المشركين والمسلمين؟

٦. ماذا عملت قريش بعد أن أخفقت في منع انتشار الرسالة، وتكاثر المسلمين؟

١٠

الصدّ عن سبيل الله: الأسباب والمراحل والأساليب

أسباب مواجهة الرسالة

لقد أشار المؤرّخون إلى مجموعة من الأسباب، أو الدوافع التي تكمن وراء مواجهة قريش للنبيﷺ ولدعوته المباركة، ونكتفي هنا بالإشارة الى أهم هذه الأسباب:

أ) التنافس على السيادة القبلية

كانت زعامة مكّة قد آلت إلى بطون قبيلة قريش، وكان أشرف البطون إطلاقاً أولاد عبد مناف (بني هاشم، بني المطّلب، بني عبد شمس، بني نوفل)،[١] وقد تقاسمت هذه البطون مناصب الشرف، فاختصّ الهاشميون بالسقاية والرِّفادة، وهومن أخطر المناصب آنذاك وأكثرها كلفةً، واختصّ بنوعبد الدار باللّواء، وهورمز لوحدة قريش، واختصّ بنوعبد شمس بالقيادة التي آلت إلى أبي سفيان.

كان هاشم أوّل من سنّ رحلتي الشتاء والصيف، وفي السنين العجاف لم يكن لمكّة غير «هاشم» من يطعم الناس ويشبعهم، وكان يحمي ابن السبيل، ويؤمن الخائف، وينهى عن أكل الحرام، ويجالس الملوك. فكثيراً ما دخل على النّجاشي

---

١. *الطبقات*: ٧٧/١.

وقيصر فأكرماه، مما جعله سيّداً وقائداً فعليّاً لمكّة، الأمر الذي أثار حسد «أميّة» واعتبره خطراً يهدّد حصّته في القيادة.[١]

وخلف هاشماً ابنه «عبدالمطلب» الذي كان متخلّقاً بأخلاق أبيه، فنهى عن الظلم والبغي، وحثّ على الوفاء بالنّذر، ومنع نكاح المحارم، ونهى عن وأد البنات، وحرّم الخمر والزنا، وكانت رؤياه حقّاً، ودعاؤه مستجاباً، وكان يفي بالعقود ولا يظلم ولا يغدر، ويحرّم أكل الميتة.[٢]

كانت كلّ تلك الصفات والمزايا العالية تجعل من صاحبها زعيماً وقائداً مسدّداً، الأمر الذي أثار حسد البطون ووساوسها، وبدأت تشعر بالقلق من هذا التميّز الهاشمي، وكان أبوسفيان الأكثر قلقاً، ومما زاد في قلقها أنّ فتى عبدالمطلب يكلّم من السماء[٣] وهذا ما يفصح عنه جواب أبي جهل حينما سأله أبوشريف: أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبوجهل: كيف يكذب على الله، وقد كنّا نسمّيه الأمين، لأنّه ما كذب قطّ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثمّ تكون فيهم النبوّة، فأيّ شيء يبقى لنا؟ وكان أبوسفيان يقول: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، كلّما جاؤا بشيء جئنا بشيء مقابل، حتّى جاء منهم من يدّعي بخبر السماء، فأنّى نأتيهم بذلك.[٤]

ولذا كان البطن الأموي بقيادة أبي‌سفيان أكثر البطون القرشية معاداةً للنّبيّ ﷺ وللهاشميين؛ وذلك لأنّ دعوة النبي ﷺ تعني فقدان هذا البطن لمنصب القيادة، وقد شكّلت هذه البطون بقيادة أبي‌سفيان جبهة لمعارضة النبي ﷺ، واستخدموا كلّ وسائل المعارضة.[٥]

---

١. *السيرة الحلبية*: ١/٧؛ *والطبقات*: ١/٧٦. ٧٧.

٢. *تاريخ الطبري*: ٢/ ٢٤٦ ـ ٢٥٤.

٣. *السيرة الحلبيّة*: ١/ ٤٦١.

٤. *السيرة الحلبية*: ١/٤٩٧.

٥. *خلاصة المواجهة مع الرسول وآله*: ١٩ـ٢٠.

ب) الثورة على مبادئ الجاهلية

١. جاء الإسلام بميزان جديد هو التقوى، فرفع شعار: لافرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود إلاّ بالتقوى والعمل الصالح، وألغى الفوارق المصطنعة للتفاضل بين أفراد المجتمع من مال وجاه وحسب، وأمثال ذلك، فصار العبد المؤمن أفضل من سيّده الكافر وإن كان من ذوي الجاه والثروة، وهذا مما أثار حفيظة المستكبرين.

٢. سفّه عقول المشركين بما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، والضرب بالأزلام، وانتقد الكثير من عاداتهم الجاهلية المقيتة، ذكر اليعقوبي في *تاريخه*: إنّ قريشاً قالت لأبي طالبعليه السلام: إنّ ابن أخيك قد عاب آلهتنا، وسفّه أحلامنا وضلّل أسلافنا، فليمسك عن ذلك، وليحكم في أموالنا بما يشاء... .[1]

٣. انتقد الرسولصلى الله عليه وآله متابعتهم للآباء والأجداد بلا نظر ولا تدبّر، لأنّهم كانوا يفترضونها أمراً مقدّساً لابدّ من الاحتفاظ به وإن كان أسلافهم على الباطل.

٤. فقدان سلطانهم في مكّة: ومن أسباب عدم إيمانهم وعدم استجابتهم للنبيصلى الله عليه وآله أن إيمانهم كان يتصادم مع مصالحهم ومكانتهم، حتى قالوا: ﴿...إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[2] أي: رغم أنّ قولك يا محمدصلى الله عليه وآله حقّ، ولكنّنا نخاف إن آمنابك أن نفقد سلطاننا على القبائل المعظِّمة للكعبة، وأنّها سوف تهاجمنا و تمزّقنا.

مراحل وأساليب المواجهة

أصبحت المواجهة بين النبيّصلى الله عليه وآله والهاشميّين من جهة، وبين بقيّة بطون قريش من جهة أُخرى قدراً محتوماً، واتّخذت المواجهة خمس مراحل.

المرحلة الأولى: اتّخذت المواجهة طابع الحرب الباردة، أي المواجهة النفسيّة

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٢٤.

٢. القصص: ٥٧.

والإعلاميّة، واقتصرت أساليبها على السخريّة، والإهانـة، والاتّهامـات الباطلـة، كـالرمي بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، كما استعملوا أُسلوب الترغيب، والترهيـب، ومـن صور هذه الأساليب: أنّ أبا جهل قال لأصحابه عندما رأى النبيّ يصلّي عند الكعبة: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً مـن جـزور نحروه فلطخ به وجه النبيّ صلى الله عليه وآله، فانفتل النبيّ من صلاته. ثمّ أتى أبو طالب عليه السلام فقال لـه النبـيّ صلى الله عليه وآله: يـا عـمّ، ألاتـرى مـا فُعِلَ بـي؟ فقـال أبوطالـب: مـن فعـل هـذا بـك؟ فقـال النبيّ صلى الله عليه وآله: عبداللّه بن الزبعرى. فقام أبوطالب عليه السلام، ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل أخذ القوم ينهضون، فقال أبوطالب: «واللّه، لئن قام رجل لجلّلته بسيفي» فقعدوا حتّى دنا إليهم، فقال للنبي صلى الله عليه وآله: «يا بنيّ من الفاعل بك هذا؟» فقال صلى الله عليه وآله: عبداللّه بن الزبعرى. فأخذ أبوطالب فرثاً ودماً فلطخ بـه وجـوههم ولحاهم وثيابهم... .[1] وكان أبولهب يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله فـي الأسـواق ويقـول: «يـا أيّها الناس إنّ هذا ابن أخي وهو كذّاب فاحذروه».[2]

المرحلة الثانية: صعّد المستكبرون من المشركين المواجهـة إلـى اضـطهاد المستضعفين من المسلمين من عبيد، وغير عبيد، ممّن لا عشيرة لهم تحميهم أوتجيرهم، فعذّبت بعضهم، كخبّاب بن الأرَت، وصهيب بن سنان، وبلال بن رباح، وسجنت آخرين، بـل وصـل التنكيـل إلى القتل، فقد طعن أبوجهل (سميّةَ وزوجَها ياسر) فكانا أوّل شهيدين في الإسلام.

المرحلة الثالثة: أرادت قريش أن تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله ولكن بلغها أنّ أباطالـب عنـد مـا عَلِمَ بذلك أنشد قائلاً:

واللّـه لـن يـصلوا إليـك بجمعهـم ... حتّـى أُغيّـبَ فـي التـراب دفينـا

---

١. *حياة أميرالمؤمنين*: ١/٢٧١ ـ ٢٧٣.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٢٤.

فخشيت من عاقبة الأمر مادام أبوطالب حيّاً، ولذا التجأت إلى إعلان المقاطعة الكاملة الشاملة لبني هاشم، حيث كتبت قريش في صحيفة ظالمة:

أن لايبايعوا أحداً منهم، ولايناكحوهم، ولا يعاملوهم حتّى يدفعوا محمّداً إليهم. ليقتلوه) وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، فشلّت يده.[1]

فاعتزل بنوهاشم وبنوالمطلب وعلى رأسهم ابوطالبعليه السلام في شعبه مدّة ثلاث سنين، عانوا فيها أشدّ المعاناة، ولكنّهم صمدوا إلى أن فرّج اللّه بفشل عمليّة الحصار عن طريق الإعجاز الإلهي، وذلك بأن سلّط اللّه الأَرَضَة على الصحيفة فأكلت كلّ ما فيها إلاّ إسم الجلالة، فأخبر الرسولصلى الله عليه وآله عمّة أباطالب بذلك، وعند ما سمع الخبر أخذ أبوطالب الرسول وأهل‌بيته وذهب بهم إلى الكعبة فجلس بفنائها، فجاءت قريش من كلّ أَوْب فقالوا: قد آن لك يا أباطالب أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك وتَدَع اللجاج في ابن أخيك.

فقال لهم أبوطالبعليه السلام: «يا قوم، احضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة» وأحضروها وهي بخواتيمهم.

فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها. فقالوا: نعم، قال: فهل أحدثتم فيها حَدَثاً؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فإنّ محمّداً أعلمني عن ربّه، أنّه بعث الأَرَضَة، فأكلت كلّ ما فيها إلاّ ذكر اللّه؛ أفرأيتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟»

قالوا: نكفّ ونُمسك. قال: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه. قالوا: قد أنصفت وأجملت؛ وفُضّت الصحيفة فإذا الأَرَضة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع (بسم اللّه)،

---

١. *سيرة ابن إسحاق*: ١٤٧/٢.

فقالوا: ما هذا إلاّ سحر، وما كنّا قطّ أجَدَّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه.

وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم، وخرج بنوهاشم وبنوالمطلب من الشعب فلم يرجعوا إليه.[١]

عام الحزن

المرحلة الرابعة: بعد أن فشلت مرحلة الحصار، ورجع بنو هاشم، وبنو المطلب إلى منازلهم حدث توفّيت خديجة بنت خويلد، الزوجة الوفيّة والناصرة لرسول اللّهﷺ وللرسالة، التي أنفقت كلّ ما كانت تملك في سبيل اللّه وقد أنفقت آخر ما عندها في فترة الحصار.

رحلت أم المؤمنين خديجةؑ إلى ربّها، وكانت تبلغ من العمر خمساً وستّين سنة، وتوفّي أبوطالبؑ أيضاً وهوالناصر المحامي عن رسول‌الله وعن الرسالة، الذي كان قد نذر نفسه وكلّ ما يملك من مال وجاه في سبيل اللّه، وقد رحل بعد رحيد خديجة بثلاثة أيّام، وله من العمر ستّ وثمانون سنة، وقيل تسعون، ولمّا علم الرسولﷺ بوفاته دخل عليه ومسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال:

يا عمّ، ربّيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً، فجزاك اللّه عنّي خيراً؛ ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وَصَلَتكَ رحم، وجزيت خيراً.[٢]

وقد حزن الرسولﷺ عليهما حزناً شديداً وسمّى هذا العام بعام الحزن، وقال في هذه المناسبة: «اجتمعت على هذه الأمّة في هذه الأيّام مصيبتان لاأدري بأيّهما أنا أشدّ حزناً».[٣]

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٣١/٢ ـ ٣٢.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٣٥/٢، *مناقب ابن شهر آشوب*: ١٧٣/١.

٣. الخصال: ٣٦٧؛ *تفسير العياشي*: ٥٤/٢.

المؤامرة لقتل النبيﷺ

المرحلة الخامسة: بعد فشل أربع مراحل من المواجهة، وبعد أن فقد الرسولﷺ المحامي والناصر تعاقدت قريش على قتل الرسولﷺ فاختارت من كل فخذ رجلاً، يأخذ سيفه ثمّ يأتي النبيﷺ، وهو نائم على فراشه فيضربونه ضربة رجل واحد، بأسيافهم فيتوزّع دمه حينئذ بين القبائل، فيعجز بنوهاشم عن المطالبة بدمه فيذهب دمه هدراً ويقبل بنو هاشم بالدية. فتنتهي دعوة التوحيد بموت الرسولﷺ، ولكنّ اللّه (عزّ وجلّ) أخبر رسوله بعزم قريش وأمره بالخروج من مكّة مهاجراً إلى المدينة، وبهذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المراحل السابقة من المواجهة.

مواقف الرسولﷺ من مراحل المواجهة وأساليبها

لمّا كان هدف الرسولﷺ إعلاء كلمة التوحيد بكلّ ما تحمل من قيم الحقّ والخير والنور، والقضاء على معالم الكفر والشرك بكلّ ما يحملان من معاني الجهل والشرّ والباطل والظلام، كان لابدّ من معالجة مراحل المواجهة بما يتناسب مع الهدف الذي انطلق منه.

وكان القاسم المشترك في كلّ مراحل المواجهة في العهد المكي أمرين:

أ) التبليغ والدعوة إلى التوحيد بكلّ وسائل التأثير الفكري والعاطفي، وقد تكفّلت الآيات القرآنيّة هذه المهمّة بأسلوب منطقي وصياغة بلاغيّة رائعة.

ب) عدم المواجهة المسلّحة وعدم استعمال العنف.

ومع ذلك كان الموقف في كلّ مرحلة يختلف عنه في المراحل الأخرى، ففي المرحلة الأولى من المواجهة كان الموقف هوالتبليغ لمن يتوسم منه القبول، وتجنب المجادلة والمحادثة مع المستكبرين المعاندين.

وكان الموقف في المرحلة الثانية مضافاً إلى التبليغ، يتّسم بالصبر على البلاء الذي حلّ

بالمستضعفين، ومحاولة إنقاذهم من البلاء بشراء العبيد المنكّل بهم، أودخول البعض في جوار الوجهاء، ثمّ الأمر بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فراراً من التعذيب.

قال اليعقوبي: ولمّا رأى رسول‌الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هوفيه من الأمن بمنع أبي‌طالب عمّه إيّاه قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنّه يحسن الجوار.[1]

فخرج في المرّة الأولى اثنى عشر رجلاً، وفي المرّة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوّلون، فكان لهم عند النجاشي منزلة، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عمّا يريد.

وموضوع هجرة بعض المسلمين لم يرق لقريش، لذا وجّهت بعمروبن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي إلى النجاشي بهدايا، وسألوه أن يبعث إليهم بمن صار إليه من المسلمين، وقالوا: سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا، وضلّلوا أمواتنا، وعابوا آلهتنا، وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يُفسدوا دينك.

> فلمّا قال عمرو وعمارة للنجاشي: أرسل إلى جعفر فاسئله، فسأله، فقال جعفر: «إنّ هؤلاء على شرّ دين يعبدون الحجارة، ويصلّون للأصنام، ويقطعون الأرحام، ويستعملون الظلم، ويستحلّون المحارم، وإنّ اللّه بعث فينا نبيّاً من أعظمنا قدراً، وأشرفنا سرراً، وأصدقنا لهجة، وأعزّنا بيتاً، فأمر عن اللّه بترك عبادة الأوثان، واجتناب المظالم والمحارم، والعمل بالحق، والعبادة له وحده».

فردّ على عمرو، وعمارة الهدايا، وقال: أدفع إليكم قوماً في جواري، وعلى دين الحقّ وأنتم على دين الباطل؟

وقال لجعفر: اقرأ عليّ شيئاً مما أُنزل على نبيّكم، فقرأ عليه: ﴿كهيعص﴾،[2]

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٢٩.

٢. مريم: ١. والذي قرأه جعفر آيات من سورة مريم.

فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة.[١]

فقال له عمرو: أيّها الملك، إنّهم يزعمون أنّ المسيح عبد مخلوق؛ فأوحشه ذلك، وأرسل إلى جعفر فقال له: ما تقول، وما يقول صاحبكم في المسيح؟

قال: إنّه يقول: «إنّه روح اللّه وكلمته، ألقاها إلى العذراء البتول». فأخذ عوداً بين إصبعيه ثمّ قال: ما يزيد المسيح على ما قلت إلاّ مقدار هذا. وبعد هذا أقام المسلمون في الحبشة آمنين، واستمرّت إقامتهم ودعوتهم حتّى فتح خيبر؛ حيث عاد جعفرعليه السلام إلى المدينة بأمر الرسولصلى الله عليه وآله.

وأمّا الموقف في المرحلة الثالثة بعد الحصار في شعب أبي‌طالبعليه السلام: فكان هوالصبر على المعاناة، والتثقيف الديني للمسلمين، والتقاء الرسولصلى الله عليه وآله بالحجيج في المواسم للتبليغ.

وقد عرفت ماقرره الرسولصلى الله عليه وآله في المرحلة الرابعة، وهوالهجرة إلى يثرب وإرساء دعائم الدولة الإسلامية المباركة.

مابعد الحصار حتى الهجرة إلى يثرب

اجترأت قريش على رسول‌اللهصلى الله عليه وآله بعد موت أبي‌طالب، وطمعت فيه، وكم تحمّل رسول اللهصلى الله عليه وآله من المصاعب والأذى منهم، حتى ائتمروا لقتله، لكن الله نجّاه من كيد قريش، وحيث بدأ الرسولصلى الله عليه وآله يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم شريف كلّ قوم؛ لايسألهم إلاّ أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم، إنّما أُريد أن تمنعوني ممّا يراد بي من القتل حتّى أُبلّغ رسالات ربّي، فلم يقبله أحد، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به.[٢]

---

١. راجع: سيرة ابن هشام: ١/٣٥٧ ـ ٣٦٢.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٣٦.

ولم يكتف الرسولﷺ بذلك، بل خرج إلى عدّة مناطق يطلب منهم النصرة، والإيمان بالله وبرسالته، فلم يُجِبه أحد

هجرة النبيﷺ إلى الطائف

و خرج رسول اللهﷺ إلى (الطائف) يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ماجاء به من الله (عزّوجل) فذهب إلى سادة ثقيف وأشرافهم وهم ثلاثة إخوة، عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو؛ فدعاهم رسول اللهﷺ وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته، ولكنّهم سخروا منه، وأغروا قومهم به، فقعدوا صفّين، فلمّا مرّ رسول اللهﷺ رجموه بالحجارة حتّى أدموا رجله.

وبعد أن يئس من خير ثقيف و من نصرتهم رجع إلى مكّة.[1]

ثمّ عاود الدعوة للإسلام على القبائل، فالتقى الرسولﷺ بنفر من الخزرج كانوا قادمين من يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فقبلوا منه وآمنوا به، وعند ما رجعوا إلى قومهم ذكروا لهم خبر الرسولﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر من رسول الله.

بيعة العقبة الأولى والثانية

بعد أن شاع خبر الرسولﷺ في المدينة، وأسلم منهم بشرٌ كثير، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فالتقوا بالرسولﷺ بالعقبة، فبايعوه بيعة النساء، أن لايشركوا بالله شيئا ولايسرقوا.ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يقترفونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف. ثمّ انصرفوا وبعث معهم مصعب بن عُمير يصلّي بهم، ويقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام.[2]

---

١. راجع: شرح *نهج البلاغه* لابن أبي الحديد: ١٢٧/٤ ـ ١٢٨؛ *تاريخ اليعقوبي*: ٣٦/٢.

٢. *مناقب آل أبي طالب*: ١٥٨/١.

فلمّا كان العام القابل خرج إليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج، فوافى منهم سبعون رجلا وامرأتان بالعقبة، فأسلموا وآمنوا، وسألوا رسول الله ﷺ أن يخرج معهم إلى المدينة، وقالوا: إنّه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشرّ، ولعلّ اللّه أن يجمعنا بك ويجمع ذات بيننا، فلايكون أحد أعزّ منّا.

وكان مع الرسول ﷺ عمّه العبّاس، فتكلّم معهم، آخذاً العهد عليهم: أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر، وأن ينصروه على القريب والبعيد. فأجابوه على ذلك، وانفضّ الاجتماع على هذا.

هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب

لما أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بالهجرة الى المدينة، بعد المؤامرة التّي أعدّتها قريش لقتله ﷺ في (دارالندوة)، دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أنْ يبيت في فراشه وأوصاه بوصاياه، ثم خرج في فحمه العشاء الآخرة، والرصد من قريش قد أطافوا بداره، ينتظرون أن ينتصف الليل و تنام الأعين.[1]

وقد اقترنت هجرته ﷺ إلى يثرب بعدّة أحداث:

أ) مبيت عليّ عليه السلام في فراش الرسول ﷺ مفدّياً إيّاه بنفسه؛ لأنّ القوم الذين تعاقدوا على قتل الرسول ﷺ، كانوا يراقبون فراشه من أعلى الجدار بين الفينة، والأخرى ليطمئنّوا على وجوده، ولذا التحف عليّ عليه السلام ببُرد الرسول ليظنّوا أنّه الرسول، وهذا الموقف أوجب أن يُباهي اللّه به ملائكة سبع سموات قائلا لهم كما في الحديث القدسي: «إنّني آخيت بينه وبين محمّد، وجعلت عمر أحدهما أطول من الآخر، فاختار عليّ الموت وآثر محمّداً بالبقاء، وقام في مضجعه...».[2]

---

١. *أمالي الطوسي*: ٧٨/٢.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٣٧/٢ـ٣٨.

ب) خرج الرسولﷺ من بينهم، وهويقرأ أوّل سورة «يس»، فأخذ اللّه على أبصارهم عنه فلايرونه، و أخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر القوم به حتى تجاوزهم ومضى، ولكنّهم لم يصدقوا خروج الرسول؛ لأنّهم تطلّعوا فرأوا شخصاً على الفراش ملتفاً ببرد الرسول، فكانوا يقولون: واللّه، إنّ هذا لمحمّد نائماً.

ج) فلمّا حانت ساعة الوثوب على الرسولﷺ، جاءوا إلى فراشه، فوجدوا عليّاً مكانه، فعلموا أنّ الرسولﷺ قد علم بمكرهم، فخرج من مكّة.

د) طلبوا الأثر، ولكنّهم لم يقعوا عليه، حيث أعمى اللّه عليهم المواضع، ولذا عندما وقفوا على باب الغار الذي اختبأ الرسول فيه رأوا الحمامة قد عششت عليه، فظنّوا عدم وجود أحد في الغار، فانصرفوا، ثمّ خرج الرسول متوجّهاً إلى المدينة، فوصلها بعد جهد وتعب، لأنّه كان قد سلك طريقاً غير مطروقة.

وبوصوله انتهى العهد المكّي، وبدأ العهد المدني وهو عهد تأسيس الدولة الإسلاميّة المباركة.

خلاصة الدرس

١. بعد أن أعلن الرسولﷺ دعوته تصدّت قريش ببطونها بشكل جادّ للقضاء عليه و عليها.

وكانت أهمّ أسباب هذه المواجهة التنافس على السيادة القبلية حيث كانت تشعر بأنّها ستصادر لوانتصر الرسول في دعوته، ثمّ الثورة على مبادئ الجاهليّة التي كانوا يتمسّكون بها، لأنّها مصدر سلطانهم وجاههم.

٢. كانت للمواجهة مراحل أربع، ولكلّ مرحلة أسلوبها، ابتداءاً من مرحلة الحرب الباردة، ثمّ التصعيد بالتعذيب والتنكيل لضعفاء المسلمين، ثمّ الحصار الذي فرضوه على بني هاشم، ثمّ التخطيط لقتل الرسولﷺ.

٣. كان موقف الرسولﷺ في مراحل المواجهة بأساليبها يناسب الهدف الذي بعث من أجله، ولذا لم يصدر منه إلاّ التبليغ، والأمر بالصبر، وبعض التدابير الوقائية لحفظ المستضعفين من أتباعه، بشراء العبيد، أوإدخال بعض أتباعه في حماية بعض الوجهاء، ثمّ الهجرة إلى الحبشة. وكان نصيب قريش في كلّ مراحل المواجهة الفشل والخيبة، وفي المقابل انتشرت دعوة التوحيد حتّى قيض اللّه لرسوله من يدافع عنه ويحميه، وهيأ له وطناً أعزّ وأمنع.

الأسئلة

١. لماذا قرّرت قريش ببطونها أن تواجه دعوة النبيّﷺ للإسلام؟

٢. ما هي مراحل وأساليب المواجهة التي قامت بها قريش ضد النبيّﷺ؟

٣. كيف واجه الرسولﷺ مؤامرة قريش له ومواقفها؟

٤. ما هودور بني هاشم وأصحاب النبيﷺ في مجال المقاومة لمخططات قريش الرهيبة؟

٥. لماذا حوصر بنوهاشم في شعب أبي طالبعليه السلام؟

٦. كيف انتهت عمليّة الحصار؟

٧. لماذا هاجر الرسولﷺ إلى يثرب؟

٨. ماهي تفاصيل بيعة العقبة الثانية؟



١١

التمهيد في العهد المكّي لإقامة الدولة الإسلامية

جذور أطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكّي

لقد تكاملت ملامح الخطوط العامّة للدولة، والنظام السياسي ـ الاجتماعي، وقضيّة الحكم، بعد الهجرة إلى المدينة، وتكوين أوّل مجتمع سياسي إسلامي لأوّل مرّة في التاريخ، وإرساء دعائم الدولة الإسلامية لهذا المجتمع وعلى أرضه، وإقامة الحكم الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ.

أمّا قبل ذلك ـ في العهد المكّي ـ فلم يتناول التشريع الإسلامي هذه الأمور بصورة مباشرة وصريحة، لأنّ المسلمين في (مكّة) لم يكونوا مجتمعاً سياسيّاً، وإنّما كانوا جماعة عقيدية تحكمها علاقات تتراوح بين الاستغراب، والجفاء، والتوتّر، والعداء مع المجتمع المكّي الذي كان محكوماً ـ بالنظام القبلي، ورئيس القبيلة كان يمثّل أعلى سلطة سياسية فيها ويحكمها بالمشورة مجلس يتكوّن من زعماء عشائره.

ولم تكن نقاط الخلاف والصدام بين الجماعة المسلمة ومجتمع مكّة في مسائل سياسية بشكل مباشر، وإنّما كانت مسائل عقيدية، وفكرية، واجتماعية، ذات نتائج سياسية واقتصادية، بلا شكّ، ولكنّها لا تتضمّن اعتراضاً مباشراً على ما يتّصل بالسلطة السياسية في المجتمع.

ولم تشتمل الدعوة الإسلامية في هذا العهد على مفردات سياسية واضحة وصريحة، وإنّما كانت مفردات الدعوة مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية الكبرى: قضية الألوهية والتوحيد، بتوجيه العقول للبرهنة بحقائق الخلق وإبداعه على قدرة الله الشاملة الكاملة، وقضية النبوّة العامّة (النبوّات السابقة) ونبوّة محمّد ﷺ، وقضية (الحياة بعد الموت): البعث والمعاد واليوم الآخر، وقضية عدل الله تعالى، ورحمته، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، سبحانه وتعالى.

كما كانت مفردات الدعوة تشتمل على المسألة الاجتماعية: الفقراء والأغنياء، والظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يمارسه الأغنياء المتحكّمون المتسلّطون، وسلوك «المترفين» في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ولكن مع ذلك حمل العهدالمكّي ـ في القرآن والسيرة ـ إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية، من الناحية السياسية، كما تضمّنت الآيات، وبعض وقائع السيرة، إشارات إلى المستقبل.

وقد تضمّنت هذه الإشارات فكرة المجتمع السياسي، والدولة، والسلطة السياسية، والحكم.

واليك بعض ما ورد من ذلك في جملة من النصوص الإسلامية:

أ) القرآن المكي، و تأسيس المجتمع السياسي

١. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.[1]

---

١. الأنبياء: ١٠٥ ـ ١٠٩.

ففي هذه الآيات إشعار وإيحاء قويّ بأنّ وضع المسلمين لن يبقى على ما هوعليه في (مكّة)، وأنّ لهم في المستقبل دولة وسلطاناً، وأنّ المكذّبين المعتدين سيرون هذه الحقيقة في وقت قريب أوبعيد، ولكنّه آت على كل حال، وأنّهم سينالون عقابهم.

٢. وقال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْء فَمَتَـعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَٰؤُا سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّـلِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُـلْمِهِ فَأُولَـئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيل * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْـلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

فقد اشتملت هذه الآيات على بدايات التشريع في شأن المجتمع السياسيّ والدولة وهي كما يلي:

أ) الإنفاق المالي:وهوالمرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريعات الواجبات المالية العامّة.

ب) ردّ العدوان على الجماعة: وهوالمرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريع الجهاد.

ج) حكم المفسدين في الأرض في مرحلته الأوّلية.

٣. الآيات التي تقصّ أنباء بني إسرائيل وغيرهم مع الفراعنة والطغاة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَـآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَـآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـمَـنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.[2]

---

١. الشورى: ٣٦ ـ ٤٢.

٢. القصص: ٣ـ٦.

٤. قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.[٢]

فهذه الآيات ـ المكّيه ـ تتضمّن إرهاصات ووعوداً بإقامة المشروع السياسي للإسلام: في المرحلة التي كان المسلمون يكابدون فيها القمع، والاضطهاد، والمطاردة، في (مكّة). وكان المجتمع السياسي ونظامه يتحكّمان بكلّ شيء. ولقد صدق الله وعده في (المدينة) بعد الهجرة.

ففي الآية الأولى من آيات سورة (القصص) تصريح بأنّ تلاوة نبأ موسى وفرعون موجّهة «لقوم يؤمنون» فهي تتضمّن الإيحاء بأنّ مصير المؤمنين وعاقبة أمرهم هي: الخلاص، والحرية، والنصر.

ب) السنّة النبويّة المكيّة وولادة المجتمع السياسي

حديث الدار: الذي رواه (الطبري) في تاريخه بسنده عن ابن عبّاس. ورواه غيره: في السنة الثالثة من مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾،[٣] حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام أنْ يصنع طعاماً ويجمع بني عبدالمطلب... في حديث طويل جاء فيه:

«...ثمّ تكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا بني عبدالمطلب ! إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد

---

١. الصافات: ١٧١ـ١٧٣.

٢. غافر: ٥١.

٣. الشعراء: ٢١٤.

أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم؟».

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: فأحجم القوم جميعاً، وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً،[١] وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً:[٢] «أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه» فأخذ برقبتي، ثم قال: «إنّ هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا».[٣]

فهذه الحادثة تدل بوضوح على اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بمستقبل الدعوة الإسلامية وبالذات فيما بعد وفاته، وتدل على أنّ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله عبارة عن مشروع مزدوج بين العقيدة والنظام الذي يقتضي إقامة دولة وحكومة، وراعي وخليفة يقوم على إقامتهما.

نعم بالبيعة والهجرة ولد المجتمع السياسي الإسلامي على أساس عقائدي إسلامي في يثرب (مدينة النبي صلى الله عليه وآله) فهي أوّل عاصمة للدولة الإسلامية المباركة.

ما نزل من القرآن بمكّة

قال اليعقوبي: «ونزل من القرآن بمكّة إثنتان وثمانون سورة، على ما روي عن ابن عبّاس. وكان أوّل ما نزل على رسول‌الله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.[٤]

---

١. رمِصت عينه ـ كفرحَ: من الرَّمَص، وهووسخٌ أبيض يجتمع في الموق.. النعت أرمص ورمصاء [القاموس المحيط] (*قاموس*).

٢. أحمش الساقين: يعني صار دقيق الساقين [القاموس المحيط].

٣. *تاريخ الطبري*: ٢١٧/٢؛ و*مسند أحمد*: ١١/١؛ و*كنز العمال*: ٣٩٢/٦ و٣٩٦ و٣٩٧ و٤٠١؛ والكامل لابن الأثير: ٢٨/٢؛ وراجع: *الاجتماع السياسي الاسلامي*: ٨٠، ٨٥؛ و*نظام الحكم والإدارة في الإسلام*.

٤. العلق: ١.

وقد اختلف الناس في ترتيب نزول السور في مكّة ولكن روي. عن ابن عبّاس أنّه قال: كان القرآن ينزل مفرّقاً، لا ينزل سورة سورة؛ فما نزل أوّلها بمكّة أثبتناها بمكّة وإن كان تمامها بالمدينة، وكذلك ما نزل بالمدينة، وإنّه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل «بسم الله الرحمن الرحيم»، فيعلمون أنّ الأُولى قد انقضت وابتدئ بسورة أُخرى.[١]

خلاصة الدرس

١. لم تشتمل الدعوة الإسلامية في العهد المكّي على مفردات سياسية صريحة وانّما كانت مفرداتها مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية. بالإضافة إلى جملة من المسائل الاجتماعية.

٢. ولكن القرآن والسيرة قد اشتملا على إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية وعالميتها وفكرة المجتمع السياسي والدولة والسلطة السياسية والحكم.

٣. ومن هذه الآيات ما جاء في سورة الأنبياء (١٠٥ ـ ١٠٩) وسورة النحل (٤١ ـ ٤٢) وسورة الزمر (٣٦)، وسورة الشورى (٣٦ ـ ٤٣)، وسورة الطور (٤٨)، وسورة القصص (٣ ـ ٦) وسورة الصافات (١٧١ ـ ١٧٣) وسورة غافر (٥١)، وحديث الدار وغيره ممّا جاء عنه حين دعا بعض عشيرته، ولفت انتباهم إلى قضيّة الخلافة والحكم بعد وفاة الرسولﷺ.

٤. وبهذا تهيّأ الظرف الفكري والنفسي للتحرّك نحوإقامة دولة إسلامية في وسط صالح لاحتضان الرسالة والرسولﷺ وأتباعهه. وقد تحقّق ذلك بعد إسلام أهل يثرب وتعهدهم بحماية الرسولﷺ ونصرته بعد هجرته.

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٣٣ ـ ٣٤.

الأسئلة

١. هل تعرّض القرآن في العهد المكّي لمسألة الحكم وتأسيس الدولة الإسلامية بشكل صريح؟ ولماذا؟

٢. ما هي أهم المؤشرات في العهد المكي لتأسيس الدولة الإسلامية؟

٣. اذكر أهم آية تدلّ على لزوم تأسيس كيان سياسي إسلامي من آيات العهد المكّي؟

٤. هل مهّد الرسول ﷺ ضمن دعوته في مكّة لقضية الحكم الإسلامي والخلافة؟ متى وكيف؟

٥. متى اختار النبي ﷺ يثرب قاعدة لدولته؟ ولماذا؟

٦. متى تأسّس المجتمع السياسي الإسلامي؟



العهد المدني
وتأسيس الدولة الإسلامية النبويّة



١٢

الخطوات الأُولى لتأسيس أوّل دولة إسلامية

مرحلة تثبيت القواعد

وصل الرسول الأعظمﷺ الى منطقة «قُبا» من مدينة يثرب مع زوال الشمس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل.[١]

ومكث في منطقة «قبا» أيّاماً ولم يدخل المدينة، بالرغم من إصرار أبي بكر على الإسراع في الدخول اليها؛ لغرض انتظاره قدوم أخيه في الله ووصيّه علي بن أبي طالبعليه السلام.

وقد أفصح الرسولﷺ عن سرّ هذا التأنّي حينما عرض عليه الدخول الى يثرب فقالﷺ:

لَسْتُ أُريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله ـ عزّ وجلّ ـ وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين.[٢]

وأمّا أبوبكر فقد ترك النبيﷺ ثاوياً في «قبا»، ونزلﷺ إلى يثرب، وليس لدينا من النصوص التاريخية ما يوضّح لنا سرّ هذا الاستعجال من أبي بكر الذي كان قد صحب النبيﷺ طيلة مسيرة هجرته إلى يثرب.

---

١. *السيرة النبوية*: ١٣٧/٢.

٢. الكافي، *الروضة*: ٢٨/١.

أهم الإنجازات النبوّية التأسيسية

أوّلاً: بناء مسجد قُبا

روى الكليني عن الإمام الصادق أنّه قال: إنّ المسجد الذي أُسّس على التقوى ـ في قوله سبحانه ـ ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يومٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ هومسجد قباء.[١]

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: قَدم علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله في بيت بني عمروبن عوف، فنزل معه ثمّ تحوّل إلى بني سالم بن عوف وعلي معه، فخطّ صلى الله عليه وآله مسجداً ونصب لهم قبلته إلى بيت المقدس، وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين.[٢]

ثانياً: بناء المسجد النبوي

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن غادر ديار بني سالم بن عوف، توجه إلى المدينة على ناقته التي قدم عليها، وكان عليّ عليه السلام معه لايفارقه ـ يمشي بمشيه ـ وحينما دخلها كان يمرّ ببطون الأنصار، وكلّما مرّ ببطن قاموا يسألونه النزول عندهم فيقول صلى الله عليه وآله: «خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة» فانطلقت به والرسول صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها، إلى أن وقفت وبركت ووضعت جرّانها[٣] على الأرض، فنزل الرسول صلى الله عليه وآله عنها وقال: هاهنا نبني مسجدنا. ونزل دار أبي أيّوب مؤقتاً.[٤]

وبجدّ ونشاط ساهم الرسول صلى الله عليه وآله مع أصحابه من المهاجرين والأنصار في بناء المسجد حتى تمّ البناء، ثمّ بنى له منزلاً حول المسجد بعد ذلك، ومبادرة الرسول صلى الله عليه وآله

---

١. *بحار الأنوار*: ١٢٠/١٩.

٢. الكافي، *الروضة*: ٢٨٠/١ ح ٥٣٦.

٣. الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

٤. *المصدر*.

لبناء المسجد قبل أن يبني داراً له دليل على أهميّة مكان للمسلمين يكون موضعاً لعبادتهم، ورمزاً لوحدتهم، ومقرّاً للحكم والقضاء، ومدرسة للتربية والتعليم، بل وكان مركزاً للقيادة وإدارة شؤون الدولة الإسلامية، والتعبئة العسكرية فيما بعد.

التشريعات الأولى في المدينة

أ) تشريع صلاة الجنائز: وفجع المسلمون بوفاة أسعد بن زرارة ـ أوّل نقيب للأنصار ـ وهم في غمرة الانهماك ببناء المسجد النبوي، وهوأوّل أنصاري يموت بعد قدوم الرسولﷺ إلى يثرب، وصلّى عليه الرسولﷺ، ولم يكن قبل ذلك صلاة على الجنائز، ودفن في البقيع.[١]

ب) تشريع الأذان: روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: سُئل الحسين بن عليعليه السلام عن قول الناس في الأذان: أنّ السبب فيه كان رؤيا رآها عبدالله بن زيد، فأخبر بها النبيﷺ فأمر بالأذان؟ فغضبعليه السلام وقال: «الأذان وجه دينكم، والوحي ينزل على نبيّكم، وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد؟!!» بل سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول اللهﷺ. وساق حديث المعراج حتى قال: فأذّن مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال جبرئيل للنبيﷺ: «يامحمّد، هكذا أذّن للصلاة»،[٢] ثمّ علّم ذلك رسول اللهﷺ بلالاً، وأمره بأن يرفع صوته بالأذان إذا دخل وقت الصلاة.[٣]

لقد شُرِّع الأذان ليكون أداة إعلام للصلاة، وأداة إعلام رسمي لشعار الدولة الإسلامية التي اتخذت عقيدة التوحيد الخالصة أساساً مبدئياً لها (الله أكبر، أشهد أن لا إله إلاّ الله).

---

١. *السيرة النبوية* لابن هشام: ١٤١/٢ و١٤٤.

٢. *دعائم الاسلام*: ١٤٢/١.

٣. *الكافي*: ٨٤/٣.

والشهادة بالرسالة لخاتم الأنبياءﷺ (أشهد أنّ محمّداً رسول اللهﷺ) تأكيداً لتجسيد الحاكمية الإلهية في قيادة النبي محمدﷺ للبشرية وشريعته الخالدة السويّة.

ثالثاً: المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار و لمّ شملهم

المؤاخاة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية: من أهم ماقام به النبيﷺ بعد بناء المسجد (مركز العبادة والسياسة) هوتحكيم أواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد، وذلك من خلال عملية المؤاخاة التي أجراها بين المهاجرين والأنصار وعمل على توحيدهم بها وتوثيق روابط المحبة بينهم. قائلا لهم: «تآخوا في الله أخوين أخَوَيْن»، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالبؑ فقال: «هذا أخي»، فكان رسول اللهﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورَسول ربّ العالمين، الذي ليس له نظير من العباد وعلي بن أبي طالبؑ ابن عمّه أخوين.[1]

لقد كانت هذه المؤاخاة سبباً لزوال وحشة الغربة والهجرة، وأُنساً لهم من مفارقة الأهل والعشيرة وحلاً لمشكلتهم الاقتصادية والسَكَنيّة، وأصبح المؤمنون جميعاً أخوة في الدين كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وبهذا أيضاً قضى النبيﷺ على العصبيّة الجاهلية القبلية وصنع من القبائل المتناحرة مجتمعاً متعاطفاً متراحماً ومتلاحماً.

رابعاً: تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية وتنظيم الدولة

عمل رسول اللهﷺ على تنظيم الدولة، و أصبحت المدينة المنورة عاصمة لها، وبعد أن نظّم المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة، قام بعقد معاهدة بين المسلمين وبين باقي سكان المدينة من غير المسلمين، على أساس التعاون بين الجميع في السلم و الحرب. وهذه المعاهده اشتملت على أُصول الموادعة وحُسن الجوار بين المسلمين

---

١. *السيرة النبوية* لابن هشام: ٢/١٥٠ ـ ١٥١.

واليهود داخل أراضي الدولة الإسلامية وفيها أقرّهم الرسولﷺ على دينهم وأموالهم فشرط لهم واشترط عليهم.

لقد تضمّنت هذه الصحيفة تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية الفتية، كما حددّت الحقوق والواجبات لكل من الأطراف بعد أن نصّت على أنّ الحاكمية العُليا للنبيﷺ.

لقد أفلح النبيﷺ في تسوية الأوضاع الداخلية للدولة الفتيّة التي كانت قد تكونت من عدة شرائح اجتماعية متباعدة فيما بينها وهم:

الأنصار: وقد أصلح الإسلام ما كان بينهم من تنافر، ونزاع سابق وربط بينهم برابطة الدين فأصبحوا بذلك أخوة متضامنين متناصرين ولاسيما بعد ما أعطوا من عهود ومواثيق لرسول اللهﷺ حيث عاهدوه على الدفاع عنه وعن رسالته ضدّ أعدائه.

والمهاجرون: قد ارتفعت مشكلتهم من حيث السكن والعمل والموقع الاجتماعي ببركة المؤاخاة والمواساة التي غرسها الرسولﷺ فيما بينهم وبين الأنصار.

واليهود: قد اعتُبروا مواطنين، لهم حريتّهم الدينية مع حماية الدولة الإسلامية لأموالهم ودمائهم وأعراضهم، وفي مقابل ذلك عليهم مساندة الدولة في ردّ العدوان عنها، كما كان عليهم عدم التآمر على هذه الدولة الاسلامية التي يعيشون في ظلّها، وليس لهم أن يغادروا أراضيها إلاّ بإذنهﷺ. وقد أخذ رسول اللهﷺ زمام المباردة لنفسهﷺ في فصل الخصومات.

ولم يترك النبيﷺ مهمّة التبليغ والارشادالإسلامي في القطّاع العامّ و في الصلوات العامّة ولا القطّاع الخاص حينما كان ينفرد مع آحاد المسلمين ويستمع إليهم ويسمعهم مواعظه.

واستمرﷺ في صنع المجتمع والدولة الإسلامية المباركة تحت رعاية الله تعالى

حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب حاجات المرحلة، وتوزّعت المهامّ تحت رعاية النبيﷺ وقيادته الحكيمة.

خامساً: بعث السرايا

وبعد سبعة أشهر من الهجرة النبوية، أرسل النبيﷺ ثلاث سرايا خلال شهرين، كانت السرية الأُولى بقيادة حمزة بن عبدالمطلب، والثانية بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب،[١] والثالثة[٢] بقيادة سعد بن أبي وقاص، وكانت مهمّتها اعتراض القوافل التجارية لقريش. وهي وإن لم تحقّق شيئاً من أهد أفها، لكنّها أحدثت الرعب والخوف عند كفار قريش. والسبب في إرسال السرايا هوالردّ بالمثل على قريش؛ لأنّهم كانوا قد صادروا أموال المهاجرين التي اضطرّوا التركها في مكّة.

ولم يغفل النبيﷺ عن أعمال المنافقين المشبوهة ضد المدّ الإسلامي الجديد وانزعاجهم من التواجد المبارك للنبيﷺ الذي أفشَل مخططاتهم في محاربة خط الهدى، كما لم يغفل عن احتمال ارتباطهم وتلاحمهم مع القبائل اليهودية التي كانت لها أحلاف سابقة مع الأوس والخزرج، ومن هنا كانت بنود الصحيفة تتضمّن تخطيطاً رائعاً لضبط هذه الجبهة الداخلية بكلّ ملابساتها.

وكان أوّل مانزل من القرآن الكريم في السنة الاولى من الهجرة مجموعة كبيرة من آيات سورة البقرة التي كثّفت الإضاءة على شعارات ومؤامرات وخطط كلٍّ من اليهود والمنافقين، وتصدّت للردّ على شبهاتهم والإجابة على كثير من أسئلتهم وإثاراتهم التي كانت مصدر قلق وتشويش لكثير من المسلمين.

---

١. *السيرة النبويّة*: ٢٤١/١.

٢. *مغازي الواقدي*: ١/٩-١٠.

خلاصة الدرس

من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام السياسي هو الهجرة المباركة التي اعقبها إقامة الدولة الإسلامية بزعامة الرسول الأعظمﷺ.

١. وقد بدأ الرسولﷺ ببناء مسجد قبا، ثمّ المسجد المعروف اليوم بمسجد النبيﷺ لجمع المسلمين فيه، وليكون مركزاً للدولة وانطلاق الدعوة إلى أطراف العالم، ثم المؤاخاةﷺ بين المهاجرين والأنصار، واحتفظ بالإمام عليعليه السلام أخاً له من دون ساير المسلمين.

٢. كان المسجد النبوي، تقام فيه الصلاة، وتصدر منه أحكام الدولة، ثمَّ شرّع الأذان في السنة الاولى للهجرة المباركة.

وأرسل الرسولﷺ أول سراياه بعد سبعة أشهر، لاعتراض قوافل قريش التجارية عسى أن يصيب شيئاً يعوّض ما فات المهاجرين من أموالهم التي صادرتها قريش.

الأسئلة

١. أذكر أهم الإنجازات التي قام بها النبيﷺ بعد هجرته الى المدينة؟

٢. كيف تمّ بناء المسجد النبوي في المدينة؟

٣. ماذا تمثل عملية المؤاخاة في رأيك وفقاً لمباديء الدعوة الإسلامية؟

٤. لماذا انطلقت سرايا الرسولﷺ الأولى؟

٥. ما هومغزى عقد الاخوة بين الرسول الأعظمﷺ وبين الإمام عليعليه السلام؟

٦. ماهي أهم بنود المعاهدة التي عقدها رسول اللهﷺ مع اليهود داخل المدينة المنورة. وما هي أهدافها؟



١٣

مرحلة البناء والدفاع عن كيان الدولة الإسلامية(١)

مهمّات البناء والدفاع

١. لا يتحقق نشر الرسالة من دون وجود أمّة تضطلع بأعبائها، ولاتفلح هذه الأمّة المضطلعة بمهمّة نشر الرسالة وتبليغها مالم تملك القدرة الفكرية والعمليّة على استيعابها و إيصالها إلى الناس وتبليغها إليهم.

وتتمثّل القدرة العملية في الجرأة والشجاعة والإقدام، لرفع الموانع والحواجز التي تمنع من وصول الدعوة إلى آذان وقلوب العالَمين.

ولن يستطيع الفرد أوالجماعة أن يمارسا مهمّتهما الرساليّة حتى النهاية حينما لاتحميهما دولة قويّة، لاسيّما إذا كانت قيم الفرد والجماعة وأخلاقيّاتهما تمثلاّن رفضاً حاسماً لقيم الواقع المُعاش، فلابد إذن من إيجاد الأرضية الصالحة التي يتحرّك عليها المسلم قبل أن تسحقه الظروف الخارجية أوتنحرف به عن الطريق.

ومن هنا كان تأسيس الدولة الإسلاميّة لحماية حركة الرسالة والدعوة إليها ضرورة من ضرورات عالميّة الرسالة الإسلامية.

٢. والنبيﷺ بحكمته ورؤيته الإلهية الفريدة استطاع أن يبدّل العصبيّة القبلية التي كانت سائدة عند عرب الجزيرة إلى عنصر قوة إيجابي، ويوظّفه لبناء الدولة الجديدة

من خلال طرح مفهوم الإخاء الذي احتوى كل ألوان المواساة والمساواة والتعاون والتضحية والذوبان في العقيدة من دون أن يقضي على الولاء للقبيلة التي كانت تستطيع أن تساهم في رفع بعض الأعباء الاقتصادية والاجتماعية عن كاهل الدولة الفتيّة، كما نلاحظ ذلك بوضوح في الوثيقة السياسية التي طرحها الرسولﷺ لتنظيم الشؤون الداخلية والخارجية والتي سُميت بالصحيفة. وقد وحدت المعاهدة (الصحيفة) المسلمين أمام أعدائهم، وأعطت للقبيلة موقعها الاجتماعي، وحالت دون تحرّك اليهود داخل الدولة الإسلامية ضدّها حيث لم يندمجوا مع هذا الكيان الجديد.

٣. لقد وضع الرسولﷺ في العام الأوّل من هجرته إلى المدينة اللّبنات الأُولى والركائز الأساسية لدولته الإسلامية ليحمي بها رسالته من الأخطار الجسيمة المحيطة بها.

وكانت خطواتهﷺ تدريجيّة ومتجانسة مع تكثّر هموم وحاجات المسلمين، ومتلائمة مع تحوّل الجماعة المسلمة من مستوى مجموعة وتيّار إسلامي إلى مستوى مجتمع متكافل متكامل.

ومجموعة الخطوات التي خطاها الرسولﷺ لإنشاء وتنظيم الدولة الربانية العالميّة يمكن تقسيمها ـ في العهد المدني ـ على مراحل ثلاث:

أ) **مرحلة تثبيت قواعد الدولة**: وهي مجموعة انجازاته في السنة الأُولى من هجرته المباركة.

ب) **مرحلة البناء**: وقد استغرقت خمس سنوات تقريباً وتضمّنت مواجهة أنواع التحدّيات إلى جانب النشاط المستمر للبناء ضمن دورين متميزين: وهما دور الدفاع، ودور السلام المشروط.

ج) **مرحلة الانتشار والتوسع**: وكان صلح الحديبية مؤشّراً سياسيّاً واجتماعياً لاكتمال عملية البناء وإيذاناً بانفتاح الطريق أمام مرحلة التوسّع والانتشار.

٤. وكان الرسولﷺ يعدّ العدة بالتدريج، لإزالة كلّ الموانع والعقبات التي كانت تحول دون انتصار هذه الدولة وحركتها بعد تأسيسها. والعقبات يمكن تصنيفها إلى مايلي:

أ) في الجبهة الخارجية: وهي على المدى القريب، قريش وحلفاؤها، وعلى المدى البعيد السلطة البيزنطية والفارسية.

ب) في الجبهة الداخليّة: وهي حالياً، اليهود والمنافقون المتواجدون في المدينة فأمّا اليهود: فكان من المتوقع بعد إنكارهم لنبوة النبي محمّدﷺ أن يتحرّكوا ضدّ الدولة الفتية وهوماكان، حيث أفصحت الآيات القرآنية عن طبيعتهم الخبيثة وتربصهم بالمسلمين الدوائر.

وأمّا المنافقون؛ فقد برزت ظاهرة نفاقهم من بداية تأسيس الدولة الإسلامية كردّ فعل أمام تنامي قدرة المسلمين التي أضعفت موقع المنافقين بالأخص عبدالله بن أبي سلول وأتباعه، حيث كانوا يشكلون خطراً حقيقياً على الدولة الفتية، بسبب وجودهم بين ظهراني المسلمين، فإنّ ذلك قد منهم فرصاً كبرى في التعرف على أسرار الدولة، وإمكانية تسديد الضربات إليها. ومن يراجع الآيات النازلة بحق المنافقين يعرف مقدار الدور التخريبي الذي كانوا يقومون به.

٥. وإذا لاحظنا تحرّك المنافقين وتحرّك اليهود خلال سنوات البناء؛ وجدناه تحرّكاً متضامناً ومنسجماً مع تحرّك الجبهة الوثنيّة (لقريش) ضد الدولة الإسلامية كما ستعرف.

ورغم أنّها كانت سنوات عصيبة على المسلمين، ولكنّها أعطتهم الحنكة والقوّة والصمود على مرّ الأحداث، فسجّلوا تأريخاً مشرقاً مشعّاً بالنور والعطاء على مدى العصور والأجيال.

وإذا أردنا أن نقدّم تحليلا تأريخياً لما حدث خلال سنوات البناء الخمس فعلينا أن نمّر على حوادث هذه السنين لنحصل على صورة شاملة لِهذا المقطع من العهد المدني، وسوف نلاحظ أنّ التصدي لردّ العدوان والدفاع عن الدولة الإسلامية كان

يشكّل أهم ظاهرة في مرحلة البناء، وتنتهي المرحلة بدور السلام المشروط الذي مهّد لمرحلة التوسّع والانتشار.

دور الدفاع

أهمّ حوادث السنة الثانية للهجرة

بعد أن وطّد النبيﷺ دعائم دولته الفتيّة في السنة الاولى ـ بما قام به من تنظيم إداري وسياسي، واجتماعي، وعسكري وتربوي، وتعليمي، وتثقيفي، ورصد لتحركات أعدائه في الخارج والداخل ـ خرج غازياً قريشاً بنفسه في بدايات العام الثاني من الهجرة وذلك بعد انقضاء الأشهر الحرم.[1]

غزوة بدر الكبرى

خرج رسول اللهﷺ ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه؛ مستهدفين السيطرة على القافلة التجارية التي كان يقودها أبوسفيان وهي متّجهة من الشام إلى مكة.

فعلم أبوسفيان بالخبر فاستأجر رجلاً وأمره أن يستنفر قريشاً،[2] وعند وصول الخبر تجهّزت قريش بكلّ قوتها بعد أن ألهب مشاعرها باستصراخهم، فلم يتخلّف من أشرافها أحد إلّا أبولهب، فإنّه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.[3]

وفي غضون ذلك استطاع أبوسفيان أن يغيّر مسيره قبل أن يصل جيش قريش لنجدته وبذلك نجت القافلة.

وعلى الرغم من سلامة القافلة إلاّ أنّ المشركين أصروا على القتال والانتقام من

---

١. وكانت غزواته في هذه السنة عديدة، ولكنه لم يصب شيئاً إلاّ في غزوة بدر الكبرى.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/ ٤٥.

٣. *الكامل في التاريخ*: ٢/ ١١٧.

الرسول الأكرمﷺ والمسلمين، ولكنّ النبي بعث إليهم من يخبرهم أنّهﷺ يقول لهم: «يا معشر قريش إني أكره أن أبدأ بكم، فخلّوني والعرب وارجعوا».

قال عتبة: ما ردَّ هذا قوم فأفلحوا، فقال أبوجهل: جَبُنتَ وانتفخ سحرك، فلبس عتبة درعه وتقدّم هووأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فتطاولت الأنصار لمبارزتهم فدفعهم، وأمر علياً، وحمزة، وعبيدبن الحارث بن عبدالمطلب، فقال النبيﷺ لهم: «قاتلوا على حقكم الذي بعث به الله نبيكم، إذ جاءوا بباطالهم ليطفئوا نور الله».

فلمّا رأوهم قالوا: أكفاء كرام، فَقَتَلَ عليٌّ الوليدَ، وحمزةُ عتبةَ. وعبيدُ بن الحارث شيبة: ثم تزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض وأمر النبي أصحابه ألّا يبدأوا بالقتال، فابتدأ المشركون المعركة ودارت رحاها واشتد ضرامها، فتدخّلت يد الغيب، وجاء الإمداد الملائكي للنبيﷺ محققاً النصر للإسلام، واندحرت قوة قريش وتشتت جيشها بين قتيل وجريح وأسير، وقتل من المشركين سبعون رجلاً وأُسر منهم سبعون آخرون،[١] واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً.[٢]

وزفّت البشائر لأهل المدينة بهذا الفتح المبين.

وقد أوصى الرسولﷺ بالأسرى خيراً، وفرض عليهم أن يفتدوا أنفسهم بالمال الذّي يستعين به المسلمون على حياتهم.[٣]

كما أنّ الرسولﷺ قد عرض على من يحسن القراءة والكتابة من الأسرى أن يعلّمها لأطفال المسلمين في مقابل فدائه.[٤]

---

١. *تاريخ الطبري*: ٢/ ١٦٩.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/ ٤٥.

٣. *السيرة النبوية*، ابن هشام: ٢٩٩/٢.

٤. سيرة *المصطفى*: ٣٦٢.

دروس من غزوة بدر

تعتبر غزوة بدر أهم حدث على الإطلاق، حيث حققت نقلة نوعية كبرى في مجمل الأحداث في الجزيرة العربية، وقد أولى المولى سبحانه وتعالى هذه المعركة اهتماماً كبيراً، كشفت عنه الآيات القرآنية النازلة في هذا الشأن.

ومن أبرز النتائج التي حقّقتها هذه الغزوة:

١. ارتفاع معنويات المسلمين، حيث اندحر المشركون وعتاتهم في أول مواجهة، على الرغم من عدم استعداد المسلمين لذلك، وفقدان التكافؤ بين الطرفين في العدة والعدد.

٢. منيت قريش ـ بكلّ جبروتها وخيلائها ـ بعار الهزيمة أمام قوة المسلمين المتواضعة التي كانت قد احتقرتها رجالات قريش.

٣. حقّقت هذه المعركة مكاسب إعلامية ساهمت في خدمة الدعوة الإسلامية، حيث وقعت عدة تحالفات مع قبائل العرب عقيب ذلك.

٤. أعطت المسلمين قوة أمام اليهود والمنافقين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر.

أهم التشريعات في هذه الفترة

١. بيان أحكام الغنيمة؛ فقد نزلت سورة الأنفال لتقول كلمة الفصل في هذا المجال.

٢. تشريع صيام شهر رمضان المبارك الذي قدنزل في شعبان.

٣. فرض الإفطار، وقصر الصلاة في السفر، وقد وصف الرسولﷺ جماعة من المسلمين بالعصاة؛ لأنّهم لم يفطروا ولم يقصّروا في السفر.

٤. تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

٥. نزول أحكام الصوم و حكم الإفطار في عيدي الفطر والأضحى، وصلاة العيد.

٦. أحكام القتال.

٧. أحكام الطلاق، والإيلاء، والحيض، والعدة، والزواج من المشركين والمشركات.

أهم الأحداث الاجتماعية

١. زواج الإمام عليّ عليه السلام من سيدة النساء فاطمة عليها السلام.

٢. وفاة رقيّة بنت الرسول صلى الله عليه وآله.

٣. وفاة عثمان بن مظعون وهو من المهاجرين.

٤. إسلام عمير بن وهب الذي كان قد قدم المدينة لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ اهتدى وأسلم.

إجلاء بني قينقاع

لقد تمّ إجلاء أول طائفة من يهود المدينة عنها، وهم بنوقينقاع بعد أن عاهدوا الرسول صلى الله عليه وآله بعدم الخيانة لدولته وأُمته، ولكنهم نكثوا العهد بعد انتصار المسلمين ببدر، وعودتهم إلى المدينة، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وآله ثمّ أجلاهم من المدينة.[1]

وهكذا انتهت السنة الثانية والمسلمون قد أدخلوا الرعب في قلوب أرباب الجبهة الوثنية وأذنابهم من المنافقين وسائر المشركين.[2]

خلاصة الدرس

١. تتلخّص خطوات الرسول صلى الله عليه وآله لإنشاء أوّل دولة ربّانية إسلامية في ثلاث مراحل:

أ) مرحلة تثبيت القواعد خلال السنة الاولى من الهجرة.

ب) مرحلة البناء خلال السنوات الخمس التالية، أي حتى صلح الحديبية.

ج) مرحلة الانتشار وهي السنوات المتبقيّة من حياته صلى الله عليه وآله بعد صلح الحديبية.

---

١. راجع: *مغازي الواقدي*: ١٧٤/١.

٢. مجلة الفكر الإسلامي العدد السابع عشر/ ٢٧٣ـ٢٨٧؛ راجع أيضاً: *موسوعة التاريخ الإسلامي*: ٢٠٢/٢ـ٢٠٧.

وأمّا العقبات التي واجهت الدولة الإسلامية فيمكن تصنيفها إلى:

أ) عقبات من خارج حدود الوطن الإسلامي، وكانت تتمثّل في قريش والقبائل المشركة داخل الجزيرة، ثمّ السلطتين (البيزنطية والفارسية) على حدود الجزيرة.

ب) عقبات داخلية وكانت تتمثل في اليهود والمنافقين.

٢. وكانت أهمّ سرايا وغزوات النبيﷺ ضدّ قريش هي بدر الكبرى؛ لأنّها قد حطّمت معنويات قريش ورفعت من معنويات المسلمين. ممّا أثار يهود بني قينقاع فنكثوا العهد فأجلاهم الرسول عن المدينة. وبهذا أدخل الرسولﷺ الرعب في نفوس القرشيين واليهود والمنافقين حتى باتوا على حذرٍ دائم من الرسولﷺ وأصحابه.

الأسئلة

١. ما هي التشريعات التي نزلت في السنة الثانية من الهجرة؟ وفي أية سورة نجدها؟

٢. ما هي دلالات الآيات المتكررة التي جاءت في مطلع سورة البقرة وفي ثلثها الأوّل حول المنافقين واليهود؟

٣. كيف استطاع النبيﷺ أن يحتوي العصبيّة القبليّة ويوظّفها باتجاه بناء الدولة الإسلامية؟

٤. ما هي مراحل تأسيس الدولة الإسلامية النبويّة في العهد المدني؟

٥. ما هي العقبات التي كانت تقف بوجه الدولة الإسلامية الفتيّة بعد تأسيسها؟

٦. من هم اليهود الذين نقضوا العهد وأجلاهم رسول اللهﷺ من المدينة؟ ولماذا؟

٧. ما هي أهمّ الغزوات والسرايا التي وقعت في السنة الثانية؟ وما هي الأهداف التي حققّتها؟

١٤

مرحلة البناء والدفاع عن كيان الدولة الإسلامية(٢)

أهمّ حوادث السنة الثالثة للهجرة

في السنة الثالثة من الهجرة رأت القبائل القريبة من المدينة بعد انتصارات النبيﷺ أنّ قوّته تهدّد وجودها ومصالحها المرتبطة بوجود قريش وتجارتها، ولذا بدأت بعض القبائل تتحرك ضدّ المسلمين، إلاّ أنّ الرسولﷺ كان يخرج بنفسه لإفشال تحرّكهم أويبعث بعض السرايا لذلك، ولم يسجّل التاريخ حدثاً مهماً إلاّ غزوة أُحد.

غزوة أُحد

في شوّال من السنة الثالثة من الهجرة تجهّزت قريش لقتال النبيﷺ والثأر من المسلمين، وسارت في ثلاثة آلاف فارس وراجل، حتى نزلت عند بعض السفوح من جبل أُحد على خمسه أميال من المدينة.

وخرج النبيﷺ بألف من المسلمين وبدأ (عبدالله بن أبي بن سلول) بعمليّة تخذيل المسلمين فأرجع ثلاثمائة من الخزرج إلى المدينة؛ مثبّطاً لهم عن القتال.

وأحكم النبيﷺ خطتّه للقتال وكادت المعركة أن تنتهي لصالح المسلمين إلاّ أنّ انهيار الرُّماة أمام الغنائم حوّل النصر إلى هزيمة منكرة، ولم يثبت مع النبيﷺ إلاّ

علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبودجانة، وسهل بن حنيف الأنصاريّان، ونسيبة الخزرجية، ولم تضع الحرب أوزارها إلاّ بعد استشهاد سبعين من المسلمين بما فيهم حمزة بن عبدالمطلب سيدالشهداء وعمّ النبيﷺ، كما جُرح النبيﷺ وجرح الثابتون معه من أصحابه في معركة الجهاد والمقاومة والاستشهاد في سبيل الله.

وبعد أن وقف النبيﷺ وهؤلاء الأربعة من صحابته أمام جحافل جيش المشركين وعودة المسلمين الفارّين الى ساحة القتال بعد اطّلاعهم على حياة النبيﷺ، وثباته في المعركه استعاد المسلمون قواهم القتاليّة، وانسحبت قوّات قريش باتّجاه مكّة، مزهوّة بالنصر الموقت، وهو عدم انتظار المسلمين.

واستغلّ اليهود والمنافقون في يثرب هزيمة المسلمين في اُحد، وراحوا يقولون: مامحمّد إلاّ طالب ملك اُصيب في أصحابه واُصيب في بدنه وما اُصيب هكذا نبيّ قطّ.

ولأجل أن يخفّف النبيﷺ من وطأة الهزيمة ويعيد للمسلمين معنويّاتهم وهيبتهم قرّر أن يطارد المشركين في اليوم التالي ليوم اُحُد، فأذّن مؤذن النبيﷺ في المسلمين ـ الذين كانوا قد حضروا (اُحداً) وكلُّ مَن كان به جراحة من أصحابه ـ بلزوم طلب العدّو، فاستنفرهم لمطاردته وانتهى المسلمون إلى (حمراء الأسد)، وظنّ أبوسفيان أنّ النبيﷺ قد جاء بمدد جديد وقوّة قتالية اُخرى فخاف لقاءه وولّى دبره. ورجع النبيﷺ إلى المدينة بعد أن استردّ كثيراً من معنويّات قوّاته التي كانت قد تزعزعت على أثر هزيمة معركة اُحد.

حادثة الرجيع

وهي من الحوادث المؤلمة التي ألمّت بالمسلمين، حيث استشهد فيها جمع من القرّاء الذين أرسلهم النبيﷺ لتعليم القرآن وتبليغ تعاليم الدين، بناءً على طلب رهط من قبيلتي(عضل) و(القارة) من الرسولﷺ حتى إذا بلغ هؤلاء القرّاء بطن الرجيع ـ وهوماء

لهذيل ـ غدر بهم هؤلاء حيث استصرخوا عليهم (هذيلاً) فهجم عليهم حيٌّ من هذيل، فأصابوهم جميعاً، واستبقوا خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فباعوهما إلى مشركي مكّة.[١]

أهمّ حوادث السنة الرابعة للهجرة

حادثة بئر معونة

وبالرغم من تألّم الرسول ﷺ من مقتل أصحاب الرجيع وبالرغم من حذره أن تتكرّر تلك الحادثة جاء أبوبراء (ملاعب الأسنّة) إلى النبي ﷺ فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم، ولكنّه طلب من الرسول ﷺ إيفاد جمع من القرّاء إلى نجد لتبليغ الرسالة الإسلامية، وعَهِدَ أن يكونوا في جواره، فنزل الرسول ﷺ عند رغبته فبعث سبعين أوأربعين من قرّاء المدينة لهذه المهمّة، حتى إذا نزلوا بئر معونة، وبعثوا كتاب الرسول ﷺ إلى أخيه عامر بن الطفيل، قتلَ عامرُ حاملَ الكتاب قبل أن يفتح الكتاب، واستصرخ قبائلَ بني سليم لمقاتلتهم، فقُتِلوا عن آخرهم سوى رجلين منهم، وبلغ الخبر أبا براء فشقّ عليه ماأصاب أصحاب الرسول، فحمل ابنه ربيعة على قتل عمّه (عامر) فطعنه فأصاب فخذه، وحزن الرسول ﷺ والمسلمون لقتلى بئر معونة أشدّ الحزن.[٢]

جلاء بني النضير

وكان سبب جلائهم عن المدينة، هوغدرهم ونقضهم العهد الذي كان بينهم وبين الرسول ﷺ، وذلك عندما قتل رجل من المسلمين رجلين من المشركين غيلةً، لعدم علمه بحصولهما على عهد من الرسول، فلمّا علم الرسول بذلك عزم على دفع ديتّهما، فخرج إلى بني النضير ليعينوه في الديّة لما بينه وبينهم من الحلف فأظهروا الموافقة،

---

١. *تاريخ الطبري*: ٢/ ٧٧.

٢. *السيرة الحلبية*: ١٦٦/٣ ـ ١٦٩؛ *زاد المعاد*: ٢٤٦/٣ ـ ٢٤٧.

فجلس الرسول عند جدار من بيوتهم ينتظرهم، ودخل اليهود يتشاورون في اغتياله باعتبار أنّ جلوس الرسول صلى الله عليه وآله عند الجدار آمناً كان يعتبر فرصة لاتتكرر، وذلك بأن يلقوا عليه من أعلى الجدار رحى فتقتله؛ يتخلّصوا منه ومن دعوته، ولكن الله تعالى أخبره بما تآمر عليه اليهود فنهض من وقته راجعاً إلى المدينة[1] ثمّ أرسل إليهم من يطلعهم على علم الرسول صلى الله عليه وآله بغدرهم ونقضهم لعهدهم، فهدّدهم بالجلاء عن المدينة، ولكنّ (ابن أُبيّ) مَنّاهم بالدّفاع عنهم إن ثبتوا لحرب الرسول صلى الله عليه وآله، فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وآله، ثمّ أخذ بقطع نخيلهم حتى نزلوا على حكمه، وتمّ إجلاؤهم من المدينة واصطفى الرسول صلى الله عليه وآله أموالهم وقسّمها بين المهاجرين، وهكذا تمّت تصفية ثاني حصن من ثلاثة حصون يهوديّة مهمّة داخل المدينة.[2]

وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة مستريحاً إلى نصر الله إيّاه، مطمئناً إلى ماأعاده الله للمسلمين من هيبتهم، حَذِراً من غدر العدّو، باثّاً عيونه في كلّ النواحي.

بعض الحوادث الإجتماعية

وفي هذه الفترة نلاحظ بعض الحوادث الإجتماعية منها:

١. توفّيت مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام، أم أميرالمؤمنين عليه السلام وكانت أوّل امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال صلى الله عليه وآله في وفاتها: «اليوم ماتت أُمّي»، وكفّنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لحدها. قائلاً عنها: «إنّها كانت تجيع صبيانها وتشبع رسول الله صلى الله عليه وآله، وتشعثهم وتدهنه».

٢. وانتفض جرح أبي سلمة ـ وهوابن عمة الرسول صلى الله عليه وآله ـ بعد رجوعه من بعثه إلى بني أسد، فمات لثلاث مضين من جمادى الآخرة.

---

١. *زاد المعاد*: ٢٤٨/٣.

٢. *السيرة الحلبية*: ٥٥٩/٢ ـ ٢٦٠.

٣. ووُلِد الحسين بن علي عليه السلام في أوائل شعبان المعظّم من هذه السنة.

٤. تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله بأمّ سلمة وهي ابنة عمّ أبي جهل بعد أن انقضت عدّتها، في شوال من هذه السنة، بعد أن رفضت الزواج من أبي بكر وعمر.

٥. يُذكر أنّ عثمان بن عفّان قال: «أينكحُ محمدٌ نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟! والله لوقد مات أجبلنا على نسائه بالسهام»،[1] وكان يريد أمّ سلمة. وكذلك قال طلحة، وكان يريد عائشة، فانزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾.[2]

٦. وفي شوال، أو في ذي القعدة من هذه السنة رجم رسول الله زانيين محصَنَين يهوديين بحكم التوراة، بعد أن كره اليهود رجم المرأة لكونها في شرف منهم، وهنا نزلت مجموعة من آيات سورة المائدة (٤١ ـ ٥٢) توضّح للمسلمين كيف أنّ أهل الكتاب كانوا يخفون كثيراً من أحكام الله. كما نزلت آيات من سورة النساء (١٠٥ ـ ١١٣) تتعلّق بسرقة ابن أُبيرق وهومن المنافقين الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم اتهامه لبيد بن سهل وهومن المؤمنين، وشكوى أُسيد بن عروة عند رسول الله صلى الله عليه وآله.[3]

لقد اطمأنت المدينة بعد إجلاء بني النضير عنها، وكانت فترة هدوء، استراح إليها المهاجرون والأنصار جميعاً.

أهمّ حوادث السنة الخامسة للهجرة

لقد كانت قريش، ويهود بني قينقاع، ويهود بني النضير، وعرب غطفان، وهذيل، والقبائل المتاخمة للشام تتربّص ـ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ـ الدوائر، لتدرك ثأرها منه.

---

١. *كشف الحق*: ٢٤٧.

٢. الأحزاب: ٥٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٢٠/ ١٨٤.

وقد اختمرت فكرة تأليب العرب على الرسولﷺ في نفوس أكابر بني النضير واستطاع هؤلاء أن يحزّبوا قريشاً وحلفاءها (كسُليم وغطفان)، كما استطاعوا أن يقنعوا بني قريظة بنقض العهد وإعانتهم لِقريش من داخل المدينة، ولمّا سمع الرسولﷺ بالأحزاب، جمع المسلمين واستشارهم وكان الرأي النهائي هوما أبداه الصحابي سلمان الفارسي من حفر الخندق من الجهة الشمالية للمدينة، وهي فكرة حربية لم يألفها العرب في حروبهم، فلما جاءت الأحزاب فوجئوا بالخندق، ولما لم يتمكّنوا من اجتيازه عسكروا في الجانب الآخر كي يفكّروا في إيجاد طريقة لاجتيازه، وفي هذه الأثناء عبر الخندق عمروبن عبدود العامري أحد أبطال جبهة الشرك مع بعض المقاتلين، وطلب من المسلمين البراز، ولكن لم يجبه أحد حتّى قال فيهم مرتجزاً.

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

والرسولﷺ يدعوالمسلمين لمناجزة عمروبن عبدود ويكرّر نداءه بقولهﷺ: «أيّكم يبرز إلى عمرو، وأضمن له علىالله الجنّة».[1]

ولكن لم يجبه أحد سوى الإمام علي بن أبيطالب عليه السلام فكان ينادي: أنا يا رسولاللهﷺ، والرسولﷺ يستمهله عسى أن يجيبة أحد من المسلمين، وبعد يأسه أذن للإمام علي وأعطاه سيفه ذاالفقار وألبسه درعه وعمّمه بعمامته ثمّ قالﷺ: «اللّهمّ وإنّكَ أخذتَ منّي عبيدة يومَ بدرٍ وحمزة يوم اُحد، هذا أخي عليبن أبيطالب، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾»[2] ولما برز علي عليه السلام قال رسولاللهﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشركِ كلِهِ، اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه».[3]

---

١. عن *موسوعة التأريخ الإسلامي*: ٤٩١/٢.

٢. *السيرة النبوية*: ٧/ ١١١.

٣. *دراسات في التاريخ الإسلامي*: ١٢٨.

ومضى علي عليه السلام إلى الميدان، وخاطب ابن عبدود: إنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك، قال له الإمام علي عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى البراز. فقال عمرو: إنّي أكره أن أُهريق دمك، وإنّ أباك كان صديقاً لي. فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلا: لكنّي والله أُحبُّ أن أقتلك، فغضب عمرو.

قال ابن أبي الحديد في شرح *نهج البلاغة*: «وكان شيخنا أبوالخير مصدّق بن شبيب النحوي يقول: إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأُحد، وعلم أنّه إن ناهضه قتله، فاستحى أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء وإنّه لكاذب فيها».[1]

وبالفعل استطاع الإمام علي عليه السلام قتل فارس الأحزاب، وبقتله انخذل المشركون، ارتفعت معنويات المسلمين فاستقبلوه بالتكبير والتهليل واستقبله الرسول صلى الله عليه وآله وهويقول: «لمبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمروبن ود، أفضل من عمل أُمتي إلى يوم القيامة». فانشرحت صدور المسلمين لهذا النصر العظيم، و انهزمت جيوش الأحزاب شرَّ هزيمة.[2]

وبعد هذا النصر الكبير التجأ النبي صلى الله عليه وآله الى وسيلة للإيقاع بين عدوّه الخارجي المتمثّل في قريش وبين عدوّه الداخلي المتمثِّل في يهود بني قريظة، اللذين تحالفا على قتال النبي صلى الله عليه وآله وذلك عن طريق بعث نُعَيْم بن مسعود ـ والذي كان قد كتم إسلامه ـ وكان في الجاهلية نديماً لبني قريظة، ليحذّرهم من عدم وفاء قريش لهم، ويحذّر قريشاً من تراجع بني قريظة أمام النبي صلى الله عليه وآله، واطمأنّ كلٌّ منهما لما حذّرهم منه نعيم، وتردّدت غطفان في قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله وعدها أن يعطيها من ثمار المدينة، وقد حالفهم نصر الله الذي تمثلّ في عصف الرياح، وهطول المطر، وقصف الرعد، وخطف البرق، واشتداد العاصفة، وقلع خيام الأحزاب، وانكفاء قدورهم،

---

١. شرح *نهج البلاغه*: ٢/ ١١٢.

٢. *تاريخ بغداد*: ٣/ ١٩.

ودخول الرعب إلى نفوسهم. حتّى هزم الله الأحزاب وحده ونصر عبده وأعزّ جنده، فتراجعت قريش وارتحلت القبائل إلى محالّها، وأصبح المسلمون وليس حول الخندق أحد من الأعداء. وبقيت بنوقريظة تنتظر مصيرها الأسود بعد خيانتها للرسولﷺ في أشد الظروف حراجةً.

و في اليوم الذي انهزمت فيه قريش، عبّأ النبيﷺ المسلمين واتّجه إلى محاصرة بني قريظة بالرغم من شدّة البرد، والجوع الذي كان قد أجهدهم، وطال حصار اليهود خمساً وعشرون ليلة، واضطروا للاستسلام للنبيﷺ، فطلبوا تحكيم حلفائهم من الأوس، فحكّم رسول اللهﷺ (سعد بن معاذ) فحكم عليهم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم ومصادرة أموالهم، وأيّد الرسولﷺ هذا الحكم؛ وذلك للخيانة الكبرى التي ارتكبوها ضد المسلمين، على أنّهم لوكانوا قد انتصروا لما كانوا يقنعون إلاّ باستئصال المسلمين.

وهكذا انتهت السنة الخامسة بأهّم غزوتين تحطّمت فيهما كبرياء قريش وحلفائها من العرب، واستئصل اليهود داخل المدينة، ولم يبق من أعداء هذه الدولة الفتيّة إلاّ المنافقون. وذهبت العرب كلهّا تتحدّث عن قوّة المسلمين وسلطانهم، وبمقام محمدﷺ وقوتّه.

وانتهت السنة الخامسة بسريّتين: الأولى سرية أبي عتيك إلى خيبر لاغتيال أحد رؤوس بني النضير الذي كان قد تحصّن في خيبر، والثانية سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر.

خلاصة الدرس

١. كانت السنة الثالثة تحمل نصراً تعبوّياً للمشركين وإن كانت تحمل فشلا سوقياً لهم أمام المسلمين حيث فشل المشركون في القضاء على قوّات المسلمين، ونجح المسلمون في الخروج من تطويق المشركين رغم الخسارة التي بلغت نسبتها ١٠٪ من قوّاتهم.

٢. عرف المسلمون مواطن الضعف والقوة في قوّاتهم واكتشفوا المنافقين داخل صفوفهم ممّا أتاح لهم القيام بعملية التطهير بعد معركة أُحد. وهكذا جاءت هزيمة المسلمين في أُحد درساً قيّماً للمسلمين.

٣. لئن وجدت الوثنية العربية فرصتها للانتقام من المسلمين في أعقاب هزيمة أحد، فإنّ النبيﷺ استطاع أن يتصدّى لكلّ المؤامرات ضدّ دولته الفتيّة.

٤. وتوّج الله تعالى جهود النبيّﷺ والمخلصين من أصحابه بالنصر في غزوتي الخندق وبني قريظة وكان نصراً حاسماً ذا آثار عظيمة في انتشار الإسلام وازدياده وقوّته فيما بعد.

الأسئلة

١. ما هي أهمّ حوادث السنة الثالثة من الهجرة؟

٢. ما هوتقويمك للسنة الثالثة للمسلمين والمشركين جميعاً؟

٣. ما هي أهمّ حوادث السنة الرابعة للهجرة؟

٤. ما هي أهمّ حوادث السنة الخامسة؟

٥. ما هي أهمّ معالم السنة الخامسة من حيث البناء والدفاع؟

٦. كيف تحقّق النصر للمسلمين في معركة الأحزاب؟

١٥

مرحلة البناء(٣)

دور السلام المشروط(١)

لقد كان من الطبيعي أن تنتشر أخبار انهزام الأحزاب الذين تحالفوا لقمع الدين الإسلامي وأتباعه في شبه الجزيرة العربية بسرعة فائقة.

وقد كان لانهزام قريش ـ وهي أكبر قوة سياسية وعسكرية في المنطقة ـ أكبر الأثر في الهزيمة النفسية لها ولحلفائها.

وشكّلت هذه الهزيمة منعطفاً سياسيّاً كبيراً في خذلان قريش وانحسارهم وانطلاق الإسلام وانتشاره... فقريش لاتفكّر بعد هزيمتها مع الأحزاب التي حزّبتها ضدّ المسلمين في معاودة قتال النبيﷺ والمسلمين الذين أصبحوا قوّة كبيرة تصمد أمام الأعاصير... والنبيﷺ لابدّ أن يخرج من هذا الحصار الذي حطّمتْه غزوة الأحزاب بنتائجها الباهرة.

من هنا انطلق النبيﷺ بعد أن نصره الله على ألدّ أعدائه، في التخطيط لاقتحام مركز قريش والوصول إلى بيت الله الحرام الذي احتكرته قريش لنفسها وللمشركين بالرغم من أنه ليس ملكاً لأحد...، وقررّ النبيّﷺ أن يكون اقتحامه للبيت الحرام سلميّاً عبر رحلة عباديّة متمثّلة في العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته لنشاطه الرسالي

وليبيّن مفاهيم الرسالة الإلهية الخاتمة ويعبّر عمليّاً عن تقديسه لبيت الله الحرام.

وبهذا سوف ينتقل بشكل طبيعيّ من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الانتشار والتوسّع لتبليغ رسالة الله تعالى، متحدّياً كبرياء قريش التي أبَتْ الانصياع إلى صوت الحق الهادر، لاسيّما وهي الآن تعيش هزيمة نفسية كبرى لاتستطيع معها الدفاع عن نفسها فضلاً عن الهجوم.

لقد كانت قريش ترصد حركات النبيﷺ بعد هزيمتها، وكان وصول النبيﷺ إلى (الحديبية) وروداً مباغتاً لقريش حيث سلك طريقاً وعراً، وبركت ناقة الرسولﷺ ـ على خلاف عادتها ـ في هذه المنطقة السهلة، وعلمت قريش بتحرّك الرسولﷺ نحومكّة، وبالرغم من أنها استخبرت عن هدف النبيﷺ من هذا التحرّك ولكنّها أبت أن يدخل النبيﷺ مكّة إذ اعتبرته دخولاً مفروضاً عليها يراد منه سحق كبريائها.

وكانت كل الشواهد تشير إلى أن النبيﷺ قد جاء زائراً لا محارباً؛ لأنّ النبيﷺ قد استنفر ألفاً وأربعمائة مسلم ـ على أقلّ التقادير ـ وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً)... وبلغ قريشاً نبأ خروج النبيﷺ والمسلمين، وأنهم يريدون أداء العمرة وحسب، فأصبحت قريش في ضيق من أمرها إذ كان أمامها طريقان:

الأول: إمّا أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة وبذا يتحقّق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام، وللمهاجرين خاصّة تتهيّأ فرصة الاتصال بأهلهم وذويهم ـ وربّما دعوهم إلى الإسلام ـ.

الثاني: أوأن تمنع قريش المسلمين من دخول مكّة، وبذا ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز وتكون محطّاً لِلَوْم القبائل الأخرى، وذلك لِسوء معاملتها لقوم مسالمين، يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة المشرّفة.

أبت قريش إلاّ المنع فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد، وكان النبيﷺ قد خرج محرماً وليس غازياً، وهنا كشف النبيﷺ

النقابَ عن الهزيمة النفسية لقريش فقالﷺ:

ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لوخلّوا بيني وبين سائر العرب؟! فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لاأزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أوتنفرد هذه السالفة.[1]

ثمّ إن النبيﷺ أمر المسلمين بالعدول عن الطريق تجنّباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة لصحّة موقفها وفخراً لها. وأرسل خراش بن أُميّة الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر، فعقروا ناقته وكادوا أن يقتلوه، ولم ترع قريش حرمةً ولاذمّةً للأعراف والتقاليد المعترف بها لديهم.

وكلّفت قريش خمسين رجلاً منهم للتحرش بالمسلمين، عسى أن يبدر منهم ماينفي صفة السلم عنهم، وفشلت هذه المحاولة وتمكّن المسلمون من أسرهم فعفا رسول اللهﷺ عنهم مؤكّداً هدفه السلمي.[2]

وأراد النبيﷺ أن يبعث إلى قريش رسولاً آخر، ولم يتمكّن من إرسال علي بن أبي طالب ممثّلا عنه، إذ أنّ علياً كان قد وتر أغلب بطون قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام والنبيﷺ والدولة الإسلاميّة، فانتدب عمر بن الخطاب ولكنّ عمر خاف من قريش على نفسه، رغم أنّه لم يقتل فرداً من أفرادها، واقترح على النبيﷺ أن يرسل عثمان بن عفان؛[3] لكونه أموياً وله قرابة مع أبي سفيان.

بيعة الشجرة

وتأخر عثمان حين ذهب للتفاوض مع قريش، وشاع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً

---

١. *تاريخ الطبري*: ٢٢٣/٣.

٢. *المصدر*.

٣. *السيرة النبوية*: ٣١٥/٢.

بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكّة.

ولم يجد الرسولﷺ بدّاً من التهيؤ للقتال، فدعا أصحابه إليه، وقد وقف تحت شجرة في ذلك الوادي، وهنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبيﷺ تحت شجرة، وأخذ أصحابه يبايعونه على أن لايفرّوا أبداً.[١]

صلح الحديبية

وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. وأرسلت قريش سهيل بن عمرولمفاوضة النبيﷺ، وبالرغم من تشدّد سهيل في الشروط، أسفرت المفاوضات عن شروط الصلح التالية:

١. تعهّد الطرفان بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢. من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمّد لم يردّوه عليه.

٣. من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤. يرجع محمّد بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكّة، وإنّما يدخل مكّة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيّام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القرب.[٢]

٥. لايُستكره أحد على ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكّة علانية وبحرّية، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة وأن لايؤذى أحد ولا يعيّر.[٣]

---

١. *أعلام الورى*: ٢٠٤/١؛ *مغازي الواقدي*: ٦٠٢/٢ ـ ٦٠٣.

٢. *السيرة الحلبية*: ٢١/٣.

٣. *بحار الأنوار*: ٢٠/ ٣٥٢.

٦. لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر.[١]

٧. لاتعينُ قريشٌ على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح.[٢]

ولم يرضَ بعض الصحابة ببنود الصلح، فاعترض على النبيﷺ زاعماً أنّ النبيﷺ قد وقف موقف المنهزم أمام جبروت قريش[٣] ولم يدرك أنّ النبيﷺ مسدَّد من قِبَل الله وأنّه ينظر بنور الله الى مستقبل الرسالة والدعوة الإسلامية ومصالحها العليا.

وردّ النبيﷺ هذا الاعتراض قائلا: «أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني»، وتمّ الصلح لولا هروب أبي جندل والتماسه من النبيﷺ أن لا يرجعه إلى قريش واضطر النبيﷺ إلى تسليمه.

لكن قضية تسليم أبي جندل لقريش[٤] في ظرف توتر الوضع النفسي لجمع من المسلمين، كان مثيراً لهم.[٥]

لقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً للمسلمين خلافاً لما استظهره البعض من بنود الصلح؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بشكل تام كما سنرى فيما بعد.

وفي طريق الرجوع إلى المدينة نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

---

١. *مجمع البيان*: ٩/ ١١٧.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٠/ ٣٥٢.

٣. لقد سجّل عامة المؤرخين هذا الاعتراض لعمر بن الخطاب على النبيﷺ، فيما يخص هذا الصلح وشروطه معتبراً ذلك من إعطاء الدنيّة في الدين.

٤. *السيرة الحلبية*: ٣/ ٢١؛ *السيرة النبوية*: ٢/ ٢١٨؛ *بحار الأنوار*: ٢٠/ ٢٥٢.

٥. ولا بأس أن ننبّه إلى أنّ هذا الشرط كان وبالاً على قريش؛ لأنّ الكثير ممن أسلم في مكّة كان يهرب منها ويلتجأ إلى الجبال القريبة من مكة حتى اجتمع سبعون رجلاً من المسلمين في منطقة ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام وكانوا يقطعون الطريق على تجارة قريش وأهلها، وهذا ممّا أزعج قريشاً، فكتبت إلى الرسولﷺ تسأله بأرحامها إلاّ آواهم فلا حاجة لهم بهم فآواهم. انظر: [*السيرة النبوية*: ٢/ ٢٩٣] وهذا الذي حدث مصداق قول الرسولﷺ لأبي جندل: «يا أباجندل اصبر واحتسب، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً...» [*السيرة الحلبية*: ٢/ ٧١٠].

مُبِينًا...﴾[١] لتؤكّد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الشرك. ومبشرةً المسلمين بدخولهم مكّة في زمن قريب.

نتائج صلح الحديبية

١. لقد اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوّة عسكرية وسياسية مشروعة.

٢. دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين وتصاغر دَوْرُهم، وظهر ضعفهم عند المواجهة.

٣. أعطت الهدنة للنبيﷺ وللمسلمين عموماً فرصة كبيرة لنشر الإسلام ودخول كثير من القبائل في الإسلام، وقد كان رسول اللهﷺ حريصاً منذ بدء دعوته أن تترك قريش له فرصة يعبّر فيها بحرّية عن موقفه، ويشرح الإسلام للناس بأمان.

٤. بعد أن أمن المسلمون جانب قريش حوّلوا ثقلهم وجهودهم لمواجهة اليهود وسائر المناوئين.

٥. جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليهم بالتدريج.

٦. أتاح الصلح للنبيﷺ أن يراسل الملوك خارج الجزيرة يدعوهم إلى الإسلام، وأن يستعدّ لنقل الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية.

٧. مهّد الصلح لفتح مكّة التي كانت أهم قلاع الوثنية حين ذاك، كما سنرى، في الدروس اللاحقة.

تبليغ الرسالة خارج الجزيرة

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الإسلام سبباً لانشغال النبيﷺ والمسلمين

---

١. راجع: سورة الفتح.

في معارك الدفاع والتحصين، وتثبيت أركان الدولة والمجتمع الإسلامي عدّة سنين، فلم يستطع خلالها أن يبلّغ فيها رسالته السماوية العالمية الخاتمة لكلّ الأديان بحرّية تامّة.

وبتوقيع معاهدة صلح الحديبية أمن الرسول صلى الله عليه وآله جانب قريش وأتاحت فرصة الأمان هذه أن يبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله سفراءه إلى زعماء القوى الكبرى المحيطة بالجزيرة العربية وإلى كلّ رؤساء القبائل في الجزيرة وخارجها يدعوهم إلى الإسلام ويوضّح لهم التعاليم الإلهية.

فقد روى أنّه صلى الله عليه وآله قال في أصحابه: «أيّها الناس إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يارسول الله؟قال صلى الله عليه وآله: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأمّا من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلّم، وأمّا من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه وتثاقل».

واتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله خاتماً من فضّة نقشت على فصّه «محمد رسول الله» وختم به الكتب؛ لأنّ الملوك لايقرأون كتاباً إلاّ مختوماً.[1]

وتوجّهت رسل الهداية تنقل رسائل الرسول صلى الله عليه وآله إلى مختلف بقاع الأرض،[2] وأهمّها دعوة النجاشي في الحبشة إلى الإسلام، ودعوة المقوقس في الاسكندرية، والحارث الغسّاني بالشام، ودعوة قبائل غطفان إلى رسالة الإسلام الخاتمة.

خلاصة الدرس

١. لقد كانت السنة السادسة سنة الانتقال من خندق الدفاع إلى مرحلة الانتشار التي كانت تتطلّبها عالميّة الرسالة الخاتمة.

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٦٠٦.

٢. راجع: *مكاتيب الرسول* صلى الله عليه وآله.

٢. بقيت قريش تعيش غرورها وكبرياءها، وتوهمت أنّها قد وقفت أمام امتداد الرسالة الإلهية وانتشارها وأصرّت على النبيﷺ من أداء العمرة.

٣. بشّر القرآن الكريم الرسول الأمينﷺ ومن معه بأنّه سيدخل المسجد الحرام إن شاء الله آمناً محلّقاً رأسه، وسوف ترتفع كل الحواجز المصطنعة أمام رسالة الله إلى البشريّة كافّة إذ ستسفر الأيّام القريبة القادمة عن دقّة التخطيط الرباني لإظهار كلمة الله تعالى عالية خفّاقة ويتبينّ الحق حيث يقول:

﴿هُوالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[1]

٤. تمت بيعة الشجرة بين النبيﷺ وبين المسلمين، و اشترط عليهم أن لايفرّوا أبداً.

٥. تمّ صلح الحديبية بين النبيﷺ وبين المشركين، واتفقوا على بنود كانت نتيجتها لصالح المسلمين.

الأسئلة

١. ما هي ردود الفعل الحقيقية لانتصار المسلمين في غزوة الأحزاب؟

٢. ماذا قرّر النبيﷺ بعد النصر الذي حققّه الله له في غزوة الأحزاب؟

٣. ما هي طبيعة المرحلة التي عاشتها الرسالة الإسلامية خلال السنة السادسة للهجرة؟

٤. ما هي بنود الصلح الذي وقّعه النبيّﷺ مع قريش؟

٥. ما هي أسباب قبول الصلح؟

٦. لماذا اعتبر هذا الصلح فتحاً مبيناً؟

٧. ما هي أهم النتائج القريبة التي ترتّبت على عملية الصلح؟

---

١. التوبة: ٣٣.

١٦

مرحلة الفتح والانتشار(١)

دور السلام المشروط(٢)

دخلت السنة السابعة للهجرة والمسلمون لا يزالون في مرحلة السلام المشروط وقد استطاعوا بعد مضي ست سنوات أن يتخلصّوا من أشرس أعدائهم (اليهود) وأن يواصلوا تبليغ رسالتهم (رسالة الله) إلى القبائل العربية داخل الجزيرة، كما تمكّنوا من أن يقهروا إرادة القتال عند قريش، وهم على أتّم استعداد لمواصلة الدفاع بروح قتالية عالية وكفاءة وخبرة متنامية... وبهذا أصبح المسلمون يشكّلون القوة الرئيسة في جزيرة العرب لاينافسهم فيها أحد.

وقد أخذت آثار وأبعاد هذا الفتح المبين تظهر بالتدريج ومن هذه الآثار:

أن الرسولﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة من المسلمين، ثمّ خرج إلى فتح مكّة بعد سنتين في عشرة آلاف رجل مسلم.

وذلك لأنّ الهدنة جعلت الناس يأمنون بعضهم بعضاً... وكان عرض الإسلام على الناس عاملاً لقبوله دون خوف أوتهديد من تبعات هذا الأمان، والقبائل العربية رأت نفسها في حلٍ من الانتماء لزعيمة الوثنية، لاسيّما وهي ترى فشل قريش في مواجهة الإسلام من جهة وتنامي قدرة المسلمين من جهة أُخرى.

إنّ انضمام خزاعة إلى معسكر المسلمين، اعتبر نصراً كبيراً لهم؛ لأنّ جزأ كبيراً من الأحابيش الذين كانت تعتمد عليهم قريش في حروبها، ويعدّون من بطونها انضموا إلى خزاعة؛ وبهذا ضعف جانب قريش الحربي.[١]

وكان لانتشار الإسلام في اليمن في الفترة التي أعقبت الحديبية أهميّة خاصّة من الناحية العسكرية، إذ أصبحت قريش محفوفة بالمسلمين من الشمال والجنوب وبذلك تقرّر مصير مكّة وقريش نهائيّاً.

وحين أمِن النبي ﷺ جانب قريش والقبائل الموالية لها، كان قد تفرّغ للقوى المضادّة الأخرى. فخيبر والمواقع اليهودية المجاورة لها لازالت مناطق خطر على الدولة الإسلامية الفتية، والبيزنطيون وحلفاؤهم العرب الذين ازداد تكالبهم في الجهات الشمالية بازدياد نشاط الإسلام هناك، فضلاً عن التجمعات البدوية المنتشرة في الصحراء، والتي كانت تنتظر الفرصة السانحة للنزال... فبعد فصم عقدها بالهدنة مع قريش أخذ يوجّه إليها السرايا تلوالسرايا طيلة السنة السابعة ليصدّها عن المضيّ فيما تبتغيه، وليشعرها بمقدرة المسلمين على العقاب.

من هنا نجد سريّة زيد إلى (حسمى)، وسرية ابن سعد الى (بني مرّة) وسريتين الى هوازن، وسرية بشير إلى (غطفان) وسريّة السلّمي إلى بني سُلَيم قد كانت كلّها في هذه السنة بالذات، وقد لقّنت الأعراب ودعاة الفتنة دروساً لن ينسوها.[٢]

ونشط الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية وحتى فتح مكّة في توجيه دعاته وسفرائه إلى كبار أمراء العرب الوثنيين يدعوهم إلى الإسلام، وفي نفس تلك الفترة قد وجّه سفراءه إلى أباطرة العالم وملوكه لعرض الإسلام عليهم.[٣]

---

١. *دراسة في السيرة*: ٢٣٢؛ عن *الشريف أحمد ابراهيم*: ٤٦٩.

٢. مغازي *الواقدي*: ٢/ ٧٢٢ـ٧٣١ و ٧٤١ـ٧٥٣ و٧٧٧ـ٧٨٠.

٣. *سيرة ابن هشام*: ٢٠٤/٤.

فأسلم المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين ومعه الكثير من رعاياه، وصالح النبيﷺ من بقي على مجوسيّتهم، وبقي العلاء بن الحضرمي أميراً من قبل رسول اللهﷺ على البحرين.[١] كما بعث إلى عمان واليمامة فأسلم أمراؤهما. كما أسلم زعماء اليمن ومشايخها وبقايا ملوك حمير. وأسلم جمع من أمراء كندة وحضر موت وبقي بعضهم على شركهم... كما وجّه كتاباً إلى جماعة من العبيد وقطّاع الطريق في جبل تهامة بعد أن استقبل وفداً منهم.[٢]

وجاءت غزوة خيبر واستسلام أهالي فدك، ومعركة مؤتة لإزالة الخطر اليهودي وإيقاف الخطر البيزنطي طيلة العامين السابع والثامن.

كما كانت عمرة القضاء في نهاية السنة السابعة؛ تصديقاً لوعد الله الذي جاء في سورة الفتح.

فتح خيبر واستسلام أهالي فدك

بعد إجلاء بني قينقاع وبني النضير، أصبحت خيبر مركزاً للتجمّع اليهودي السياسي، ومنها انطلق زعماء اليهود لدعوة القبائل العربية وتحزيبها ضدّ المسلمين، ومنها خرج حيي بن أخطب، وحرّض بني قريظة على نقض المعاهدة التي أبرموها مع الرسولﷺ في اللحظات العصيبة، وغدت (خيبر) بمرور الأيام ملجأً يأوي إليه اليهود المبعدون عن المدينة، ينتظرون الفرصة للانتقام من الإسلام والمسلمين واسترداد مواقعهم التي جُرّدوا منها، وبعد وصول نبأ هزيمة بني قريظة إلى خيبر، أعلن سلام بن مشكم السير إلى محمد في عقر داره بما معهم من يهود خيبر مع استجلاب يهود تيماء وفدك ووادي القرى.

---

١. *فتوح البلدان*: ١/ ٩٥ ـ ٩٩.

٢. راجع: *طبقات ابن سعد*: ١/ ١٨٨ ومابعدها.

وفي أواخر العام السادس توجّهت سرية علي بن أبي‌طالب‌ﷺ إلى فدك حيث كان يقطن عندها حيّ من بني سعد بن بكر، وكانوا قد سعوا إلى مدّ أيديهم لاولئك اليهود لقاء أن يمنحوهم جزءاً من ثمار خيبر.[١]

وهم الآن يتحالفون مع غطفان في محاولة جديدة ضد المدينة؛ تمهيداً لدخول أهل خيبر في حرب مع المسلمين.

إذن فالخطر اليهودي لازال قابعاً في الجزيرة حيث لم يكف اليهود عن التآمر والعدوان، من هنا انطلق الرسول‌ﷺ في مطلع السنة السابعة صوب خيبر على رأس حملة استنفر لها الراغبين في الجهاد فحسب دون الغنائم.

ولما كانت يهود خيبر أعظم الطوائف اليهودية بأساً ودربةً على القتال، كانت شبه الجزيرة متطلّعة إلى نتائج هذه الغزوة، وكان النبي‌ﷺ يدرك أن الفشل فيها سوف يغيّر ميزان القوى من جديد... من هنا كان عليه أن يقود جيشاً مؤمناً بأهدافه، مقدّراً لحراجة الظروف... وكان الجيش الذي أعدّه النبي‌ﷺ قليلاً بعدده كثيراً بإيمانه.[٢]

واستهدف الرسول‌ﷺ السيطرة على الطريق الواصل بين غطفان وخيبر ليمنع المدد عنهم واستطاع أن يحول بين غطفان وبين يهود خيبر، ثم باغت خيبراً في وقت كان قد خرج أهلها إلى مزارعهم.

لقد تمالكهم الخوف حين رأوا جيش المسلمين، وهربوا لائذين بحصونهم وهيّأوا أنفسهم لحصار طويل.[٣]

وتلخّصت خطة الرسول‌ﷺ بمشاغلة بعض الحصون بقوآت صغيرة وتركيز الهجوم على حصن واحد، ثمّ الانتقال إلى سائر الحصون. مع تقسيم القوآت بنحويشتدّ التنافس

---

١. *الطبري*: ٢/ ٦٤٢؛ *أعلام الورى*: ٢٠٩/١

٢. *مكّة والمدينة*: ٤٩٥ ـ ٤٩٨؛ *إمتاع الأسماع*: ١/ ٣٢٧.

٣. *مغازي الواقدي*:٦٤١/٢ ـ ٦٤٣؛ *سيرة ابن إسحق*: ٣٤٣/٣ ـ ٣٤٤.

بينها مع قيام بعضها بالاستراحة بشكل متناوب، لتكون مستعدّة للقتال على أيّ حال.[١]

وبدأ الهجوم وراحت الحصون تسقط بأيدي المسلمين حصناً بعد حصن، وكان آخرها مقاومةً سلاسل الوطيح والسلالم وقلعة الزبير وظلّوا يقاومون بضعاً وعشرين ليلة جرت خلالها مناوشات فرديّة. وبعد أن فشل جمعٌ من الصحابة في اقتحام هذه الحصون في هجومين منفصلَين، كان الأول بقيادة أبي بكر، حيث رجع وهو يجبّن أصحابه ويجبنونه، وكان الثاني بقيادة عمربن الخطاب الذي رجع أيضاً وهو يجبّن أصحابه ويجبّنونه هنا قال الرسول ﷺ كلمته المعروفة: «لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار»

ودعا عليّاً وكان أرمد العينين، وأخذ يمسحها الرسول ﷺ بلعابه المبارك وأعطاه الراية، وتمّ الفتح على يديه.

وحين أيقنوا بالهلكة سألوا الرسول ﷺ الجلاء من المنطقة وحقن دمائهم فأجابهم الى طلبهم، فلّما نزلوا إليه عرضوا عليه أن يبقيهم في أرضهم لقاء نصف حاصلاتهم فوافق على ذلك بشكل مشروط من دون أن يكون ملزماً إلى الأبد بذلك. فإنّ اليهود قد عرفوا بالغدر في أية فرصة تسنح لهم للغدر.[٢]

وفي يوم فتح خيبر وصل جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشه، فاستقبله الرسول ﷺ بكّل حفاوة وقبّل مابين عينيه، ثمّ قال: «ما أدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»؟![٣]

وتناسى اليهود كلّ المواقف السمحة والعادلة إزاءهم، وكانت أولى محاولات الغدر ماتمّ على يد زينب ابنة الحارث زوجة سلام بن مشكم، حين أهدت

١. *الرسول القائد*: ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ و*أنساب الأشراف*: ١/ ٣٥٢.

٢. *الطبري*: ٢/ ١٠ـ١٥؛ و*فتوح البلدان*: ١/ ٢٥ ـ ٢٦.

٣. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ١٠٨.

للرسول ﷺ شاة مشوّية نثرت فيها السمّ وعرف النبي ﷺ ذلك بعد أن مضغ من ذراعها مضغة ولفظها وكان بشر بن البراء قد أكل منها فمات بعد قليل.

واعترفت هذه الجانية قائلة للرسول ﷺ: بلغتَ من قومي مالم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها الرسول ﷺ، وقيل: إنّه قتلها.[١]

ويذكر عدد من المؤرّخين؛ أنّ وفاة الرسول ﷺ بعد ثلاث سنوات كانت بسبب هذا السم الذي دسّته له بنت الحارث يوم فتح خيبر.[٢]

ولمّا سمع يهود فدك ماحلّ برفاقهم في خيبر من معاملة طيّبة بعثوا إلى الرسول ﷺ يعلنون رغبتهم في المصالحة على مناصفة أراضيهم.[٣]

وأمّا وادي القرى فقد بقيت عاصية فتوجه إليها الرسول ﷺ وفرض الحصار عليها ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم أصرّوا على القتال وجرت بين الطرفين مناوشات محدودة، وشدّد الحصار عليهم حتى فتح بلدهم عنوة وبقي أربعة أيام قسمّ خلالها الغنائم على أصحابه وترك المزارع بيد اليهود مناصفة بينهما ولمّا بلغت يهود تيماء أنباء الانتصارات الإسلامية صالحوا الرسول ﷺ على الجزية، وأقاموا في بلدهم.[٤]

وأصبحت فدك ملكاً للرسول ﷺ خاصّة بحكم القرآن الكريم؛ لأنّها ممّا لم يوجف عليه بخيل ولاسلاح بعد استسلام أهاليها للنبي ﷺ دون تهديد أوقتال.

وقد وهب الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى فدكاً لابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.[٥]

---

١. مغازي *الواقدي*: ٢/ ٦٧٧ ـ ٦٧٩؛ *الطبقات*: ٢/ ٧٨.

٢. *الاشراف والتنبيه*: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٣. مغازي *الواقدي*: ٢/ ٧٠٦ ـ ٧٠٧.

٤. *المصدر*: ٢/ ٧٠٩ ـ ٧١١.

٥. مجمع *البيان*: ٣/ ٤١١؛ *والدر المنثور*: ٤/ ١٧٧.

روى الشيخ الطوسي في التهذيب: إنّ الله عزّ وجلّ لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدكاً وما والاها، ولم يوجف عليها بخيل ولاركاب فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم؟ فراجع في ذلك جبرئيل عليه السلام فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك، فأوحى الله إليه: أن ادفع فدكاً إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: «يافاطمة، إنّ الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكاً» فقالت: قد قبلت يا رسول الله، من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

وتزوّج النبي صلى الله عليه وآله بصفيّة بنت حيي بن أخطب بعد رجوعه من فتح خيبر.

عمرة القضاء

انقضت الأيام وظل النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون في عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامي، ولم تحدث تحركات عسكرية بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغية أوتأديبية لبعض العناصر التي كانت تظهر الشَغَب.

ومضى عام على صلح الحديبية، التزم خلاله الطرفان ببنود الاتفاق وحلّ الوقت الذي أصبح النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون فيه في حلٍ من عهدهم للدخول إلى مكّة، فنادى منادي الرسول صلى الله عليه وآله أن يتجهز المسلمون لأداء عمرة القضاء. وخرج مع النبي صلى الله عليه وآله ألفان من المسلمين لايحملون سلاحاً إلاّ السيوف في القِرب، ومن حيطة النبي صلى الله عليه وآله وحذره من احتمال الغدر جهّز مجموعة مسلحة تستعد للدفاع عن المسلمين عند أي طاريء وأوقفهم عند (مرّ الظهران).

ولما وصل النبي صلى الله عليه وآله ذا الحليفة، أحرم هووأصحابه وساق معه ستين بدنة، بعد أن قلّدها بنفسه وبيده، وقدّم الخيل أمامه، وكانت نحواً من مائة فرس، وخرج زعماء مكّة

---

١. *تهذيب الأحكام*: ٤/ ١٤٨.

ومن تبعهم إلى رؤوس الجبال[١] والتلال المجاورة المطلة على مكّة زاعمين أنّهم لايريدون النظر إلى النبيﷺ ولا إلى أصحابه، ولكن جلالة الرسولﷺ وهيبة منظر المسلمين الذين يحتفون برسول السلام، وهم يردّدون التلبية، بهرت عيونهم وهلعت قلوبهم وشدّتهم مذهولين للنظر إلى اللنبيﷺ والمسلمين وهم يؤدوّن مناسكهم.

وطاف النبيﷺ حول البيت على راحلته[٢] يقودهاعبدالله بن رواحة، وأمرﷺ أن ينادي المسلمون:«لا إله إلاّ الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعَزَّ جنده وهزم الأحزاب وحده».

فدوّى النداء في مكّة وشعابها، فانصدعت قلوب المشركين رعباً وتملّكهم الغيظ والحقد من مظاهر النصر الإلهي للنبيﷺ الذي خرج منهم طريداً قبل سبعة أعوام.

وأتم النبيﷺ والمسلمون معه مناسك العمرة، وأيقنت قريش بقوّة الإسلام والمسلمين وأيقنت بكذب من أخبرها أنّ النبيﷺ ومن معه في جهد وتعب وضيق وحرج.

ثم أمر رسول اللهﷺ بلالاً أن يصعد على ظهر الكعبة فيؤذِّن ويعلن[٣] نداء التوحيد مؤذّناً لصلاة الظهر بمظهر روحاني بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش... وقد كانت مكة كلّها تحت تصرف المسلمين بكلّ مرافقها.

وأمضى المسلمون ثلاثة أيام في مكّة وأمرهم رسول اللهﷺ بمغادرتها[٤] حسب الاتفاق مع قريش.

وهكذا انتهت السنة السابعة والمسلمون أقوى شوكةً وأشد عزيمةً على المضّي لإعلاء كلمة الله في ربوع الأرض.

---

١. *مغازي الواقدي*: ٢/٧٣٤ ـ ٧٣٥.

٢. *فروع الكافي*: ٤/٣٢٦.

٣. *مغازي الواقدي*: ٢/٧٤٠.

٤. راجع: *سيرة ابن هشام*: ٤/١٤

واعتبر بعض المؤرّخين أن مكّة قد تمّ فتحها للمسلمين من يوم عمرة القضاء، لأنّها قد أثّرت على معنويّات المكيّين أعظم تأثير، فعمرة القضاء فتحت قلوبهم وغزوة الفتح فتحت أبوابها.[1]

خلاصة الدرس

١. تعتبر السنة السابعة من العهد المدني بداية مرحلة الفتح، من خلال السلام المشروط الذي حققّه النبي ﷺ، من خلال صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة.

وهذا الفتح هوفتح القلوب قبل فتح الأراضي والبلدان، كما أنّه فتح للجزيرة العربية وما والاها وأحاط بها من خلال توفر فرص التبليغ والدعوة إلى الله، ومن خلال الأمن الذي حققه الصلح للمسلمين.

٢. وكانت تصفية قلاع خيبر واستسلام فدك من النتائج القريبة لهذا الصلح فضلاً عن تأديب دعاة الفتنة في قلب الصحراء.

٣. كانت عمرة القضاء تحقيقاً لوعد الله تعالى، وأيقنت قريش خلالها بقوة المسلمين وتفانيهم في سبيل دينهم ونبيّهم.

الأسئلة

١. ما هي أهمّ حوادث السنة السابعة للهجرة؟

٢. ماهي أهمّ ملامح العام السابع الهجري؟

٣. ما هي المكاسب التي تحققت بعد صلح الحديبية خلال العام السابع الهجري؟

٤. كيف حدثت غزوة خيبر؟

---

١. *الرسول القائد*: ٢٣٨.

٥. ما هي ردود الفعل بعد فتح خيبر؟

٦. متى حدثت عمرة القضاء؟

٧. ما هي مكاسب هذه العمرة بالنسبة للمسلمين؟ وكيف كانت آثارها على المشركين؟

١٧
مرحلة الفتح والانتشار(٢)

دور التحرير

كان لبعض أمراء القبائل العربية النصرانية الموالية للبيزنطيين في شمال الجزيرة عدّة مواقف غادرة من دعاة الإسلام المبعوثين إلى الشام، وكان قد قتلوا الرسول الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله الى ملك بصرى في طريقه إليها[١] ممّا دعا الرسول صلى الله عليه وآله للتخطيط لتأديبهم وإشعارهم بقدرة الدولة الإسلامية الفتيّة، فجهزّ صلى الله عليه وآله جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل وولىّ جعفربن أبي طالب[٢] قيادة الجيش وألحق به قائدين احتياطيين، نظراً لبعد الطريق واحتياطاً للمفاجئات.

وتقدّم جيش الأمبراطور البيزنطي على رأس مائة ألف مقاتل من الروم، سوى قوات القبائل العربية الموالية لهم، وهذا العدد وإن كان خياليّاً ومبالَغاً فيه، فإنّ المسلمين الذين عسكروا جنوب الأُردن طلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله أن يمدّهم بالرجال، إلاّ أنّ عبدالله بن رواحة القائد الاحتياطي اندفع بفورة حماسه الإيماني نحوالشهادة قائلاً: إنمّا هي إحدى الحسنيين، واستجاب له جمع من الجيش مؤيدين رأيه فلم ينتظروا

---

١. راجع: *مغازي الواقدي*: ٧٦/٢.

٢. *موسوعة التاريخ الإسلامي*: ١٤٧/٣.

المدد وغادروا معسكرهم حتى بلغوا تخوم البلقاء، ولقيتهم جموع الروم والعرب فانحازوا صوب قرية مؤته: فعبّأوا أنفسهم وانطلق جعفر بن أبي‌طالب وقاتل حتى استشهد، ثم حمل زيدبن حارثه الراية وقاتل حتى استشهد، ثم انطلق عبدالله بن رواحة يقاتل بها حتى استشهد[١] فأخذ الراية رجل من الأنصار، وسلمها الى خالد بن الوليد. وقرّر خالد حسب خطة تمويهيّة أن ينسحب منهزماً بالمسلمين.

ولم يخسر المسلمون سوى ثمانية أواثني عشر قتيلاً بينما كانت خسائر العدوأضعافاً مضاعفة ممّا أثّر في معنويّاتهم وصدّهم عن مطاردة المسلمين.

لقد اطّلع المسلمون في هذه المعركة على خصائص قوّات الروم وتنظيمها ودرجة تسليحها وأساليب قتالها.

ووصلوا المدينة بعد مسيرة مجهدة في جحيم الصحراء وتلقّاهم الرسولﷺ والمسلمون، والصبيان يعدون من ورائهم هاتفين: يافُرّار فررتم عن سبيل الله؟ فيجيبهم الرسولﷺ: ليسوا بالفرّار ولكنّهم الكرّار إن شاء الله تعالى.[٢]

وكما عقّب الرسولﷺ غزوة أحد بغزوة حمراء الأسد استرداداً لهيبة المسلمين بايهام قريش بقدرة المسلمين على متابعة القتال، كذلك نجد النبيﷺ هنا وبعد معركة مؤتة يقوم بإرسال جيش إلى الشمال ليشتت جموع أهل الشام استرداداً لهيبة المسلمين في تلك النواحي.[٣]

فتح مكّة[٤]

لقد كانت ردود الفعل في المنطقة بعد معركة مؤته مختلفة، فالروم فرحوا إذ

---

١ .راجع: *سيرة ابن هشام*: ٢٠/٤؛ *أعلام الورى*: ٢١٣/١.

٢. *تاريخ الطبري*: ٣/ ٤٢؛ *والواقدي*: ٢/ ٧٦٥؛ *والسيرة النبوية*: ٢/ ٣٨١.

٣. *حياة محمد*: ٣٩٦.

٤. تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

انسحب المسلمون ولم يتمكّنوا من دخول الشام وخشوا أن يلاحقوهم إلى الجزيرة.

أمّا قريش فقد سادها الفرح وانبعثت فيهم الجرأة على المسلمين، وأخذت تسعى لنقض صلح الحديبية عبر الإخلال بالأمن فحرّضت قبيلة بني بكر على بني خزاعة ـ بعد أن كانت قبيلة بني بكر قد دخلت في حلف قريش وخزاعة في حلف النبيﷺ بعد صلح الحديبية ـ وأمدّتها بالسلاح فعَدَتْ بكر على خزاعة غيلة وقتلوا عدداً من أفرادها، ففزعوا إلى رسول اللهﷺ طالبين النصرة، ووقف عمروبن سالم بين يدي رسول اللهﷺ وهوجالس في المسجد ينشد أبياتاً يعرض فيها نقض العهد. فتأثّر رسول اللهﷺ وقال: «نُصِرْتَ ياعمروبن سالم!»

انتبهت قريش الى سوء فعلتها وتملّكها الخوف من المسلمين، فاجتمع رأيهم على إيفاد أبي‌سفيان إلى المدينة ليجدّد الصلح ويطلب تمديد المدة من النبيﷺ.

ولكن النبيﷺ لم يصغ لطلب أبي‌سفيان وسأله، هل كان من حدث؟

فقال أبوسفيان: معاذ الله.

فأجابه النبيﷺ: نحن على مدّتنا وصلحنا.

لكنّ أبا سفيان لم يهدأ له بال ولم يقنع بل أراد أن يستوثق عهداً وأماناً جديداً من رسول اللهﷺ فسعى لتوسيط مَن يؤثّر على النبيﷺ فقابله الجميع بالرفض واللامبالاة.

فقفل راجعاً بالخيبة إلى مكّة وقد ضاقت الأمور على قوى الشرك حيث تبدلت الظروف، فالنبيﷺ يطلب مكّة فاتحاً، بعدّة تتزايد وإيمان يترسّخ، وقريش تطلب الأمان والسلامة في دمائها وأموالها، بعد أن سنحت الفرصة بنقض الصلح.

إنّ مكّة هي آخر خطوة مهمّة لإحكام قبضة الإسلام على الجزيرة العربية آنذاك.

من هنا أعلن النبيﷺ النفير العام، وتوافدت عليه جموع المسلمين ملبّية نداءه فجهّز جيشاً قارب تعداده عشرة آلاف رجل. واجتهد في كتمان قصده، وهدفه إلاّ

على الخاصة من أصحابه وكانﷺ يدعوالله قائلا: «اللّهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها».[١]

ويبدوأنّ النبيﷺ كان يودّ أن يتحقّق النصر المؤزّر سريعاً دون إراقة قطرة دم متخذاً أسلوب المباغته. ولكن الخبر تسرّب إلى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه، فكتب إلى قريش كتاباً بذلك وبعثه مع امرأة توصله.

ونزل الوحي يخبرالنبيﷺ بذلك فأمرﷺ علياً والزبير بأن يلحقا المرأة ويسترجعا الكتاب، وانتزع علي بن أبي طالبعليه السلام بقوة إيمانه برسول اللهﷺ الكتاب من المرأة رغم سعيها البليغ لإخفائه.[٢]

ولما استلم الرسولﷺ الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليحذّر من الخيانة مرة أخرى، ويؤكدّ ضرورة كبت العواطف مرضاةً لله. وقام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعة صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنّه لم يقصد الخيانة، وانفعل عمربن الخطاب، كما هو دأبه وطلب من رسولالله أن يقتله.[٣]

وتحرّك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان وهم صيام، ولما بلغ «الكديد» طلب النبيﷺ ماءاً فأفطر به أمام المسلمين، وأمرهم أن يفطروا، لكنّ بعضاً منهم عصوا الرسولﷺ ولم يفطروا، فغضب الرسول وقال: «أولئك العصاة» وأمرهم أن يفطروا.[٤]

ولمّا وصل النبيﷺ إلى «مرّ الظهران» على مشارف مكّة أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء ويوقد كل منهم ناراً. فأضاء الليل عن جيش عظيم تضيع أمامه كل قوى قريش ممّا أقلق العباس بن عبدالمطلب ـ وهو آخر المهاجرين إذ التحق

---

١. *السيرة النبوية*: ٣/ ٣٩٧؛ *المغازي*: ٢/ ٧٩٦.

٢. *السيرة النبوية*: ٢/ ٣٩٨.

٣. *إمتاع الأسماع*: ١/ ٣٦٣؛ *المغازي*: ٢/ ٧٩٨.

٤. *وسائل الشيعة*: ٧/ ١٢٤؛ *السيرة الحلبية*: ٣/ ٢٩٠؛ *المغازي*: ٢/ ٨٠٢.

بركب رسول الله ﷺ في منطقة الجحفة ـ وتحرك يبحث عن وسيلة يُبلغ بها قريشاً أن تأتي مسلمة قبل دخول الجيش عليها.

وفجأة سمع صوت أبي سفيان يحادث بديل بن ورقاء مستغرباً من وجود هذه القوة الكبيرة على مشارف مكّة. وارتعد أبوسفيان خوفاً حين أخبره العباس بزحف النبي ﷺ بجيشه لفتح مكّة، ولم يجد أبوسفيان بدّاً من اصطحاب العبّاس لأخذ الأمان من رسول الله ﷺ.

ولم يكن بوسع نبيّ الرحمة وينبوع العفو والأخلاق الكريمة أن يرد جوار عمّه لأبي سفيان، فقال ﷺ: «إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ».

ولما مثل أبوسفيان بين يدي النبي ﷺ قال له: «ويحك ياأبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم: أنّه لا إله إلاّ الله؟».

فقال أبوسفيان: «بأبي أنت وأمي، ماأحلمك، وأكرمك وأوصلك، والله، لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد».

فقال ﷺ: «ويحك ياأبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم، أني رسول الله»؟

قال: «بأبي أنت وأمي ماأحلمك، وأكرمك، وأوصلك، أما والله، فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً».[1]

وتدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم وقال له: «ويحك، أسلمْ واشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، قبل أن يُضرب عنقك» فشهد أبوسفيان الشهادتين ودخل في عداد المسلمين.

كان إسلام أبي سفيان بمثابة إزالة لكلِّ العقبات أمام إسلام البقية من زعماء الكفر من قريش، ولكنّ النبي ﷺ إستتماماً للضغط النفسي على قريش كي تستسلم دون

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٠؛ *مجمع البيان*: ١٠/ ٥٥٤، *المغازي*: ٢/ ٨١٦.

إراقة دماء قال للعباس: «ياعباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

ولإشاعة الاطمئنان إلى رحمة الإسلام ورحمة النبيﷺ وإرضاءاً لغرور أبي‌سفيان كي لايكابر قالﷺ: «من دخل دار أبي‌سفيان فهوآمن، ومن أغلق بابه فهوآمن، ومن دخل المسجد فهوآمن، ومن طرح السلاح فهوآمن».

ومرّت جنود الله تعبر المضيق والعباس يعرّف الكتائب لأبي سفيان وهومندهش فقال أبوسفيان: والله، ياأبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فأجابه العباس: ياأبا سفيان، إنّها النبوة، وتردد أبوسفيان في الجواب فقال: فنعم إذن، ثمَّ انطلق أبوسفيان إلى مكّة يحذّر أهلها ويعلن لهم أمان رسول‌اللهﷺ لأهل مكّة.

دخول مكّة

أصدر رسول‌اللهﷺ أوامره الحكيمة بتوزيع مداخل القوّات إلى مكّة، مؤكّداً عدم اللجوء إلى القتال إلّا من يقاتلهم. وأهدرﷺ دماء نفر من المشركين؛ لعظيم جنايتهم لأنهم كانوا يؤذون النبيﷺ.[1]

وما إن لاحت بيوتات مكّة حتّى اغرورقت عيون النبيﷺ بالدموع شوقاً إلى حرم‌الله، ودخلت قوآت الإسلام الظافرة مكّة من جهاتها الأربع ومظاهر العز والنصر تجلّلها، ودخل الفاتح العظيم الرسول الأكرمﷺ مكّة مطأطئاً رأسه؛ شكراً لله على مامنحه من الفضل والنعمة إذ دانت له أمّ القرى، بعد طول جهد في سبيل إعلاء كلمة الله.

وبعد استراحة في قبّة من أدم نصبت له قرب قبر أبي‌طالبعليه السلام ـ إذ رفض أن يدخل دار أحد من أهالي مكّة رغم كثرة عروضهم ـ اغتسل وركب راحلته، و كبّر فكبّر المسلمون فدوّى الصوت في الجبال والوهاد ـ التي فرّ إليها بعض رؤوس الشرك

---

١. *سيرة ابن إسحاق*: ٥١/٤.

خوفاً ورعباً من الإسلام ـ وجعل يشير وهويطوف في البيت إلى كل صنم موجود حوله ويقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] فيسقط الصنم لوجهه.[2]

وحمل النبيﷺ علياًعليه السلام على كتفه فألقى (هبل) عن ظهر الكعبة، إلى الأرض فتكسّر كما تتكسّر القوارير.[3]

ثم دعا النبيﷺ بمفاتيح الكعبة ففتحت ودخلها ومسح مافيها من صور.

ثم وقف على بابها يخطب خطبة الفتح العظيم قائلاً: «لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم يدّعى فهوتحت قدمي هاتين، إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج...»

ثم قالﷺ: «يامعشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب...» ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] يامعشر قريش، ماترون أنّي فاعل بكم»؟.

قالوا: «أخ كريم وابن أخ كريم» قالﷺ: فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لأخوته: لاتثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء.[5]

ثم ارتقى بلال سطح الكعبة ليؤذّن لصلاة الظهر، فصلّى المسلمون بإمامة النبيﷺ في المسجد الحرام.

ووقف المشركون والحيرة تملكهم وخشيت الأنصار أن لايرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبيﷺ مع أهل مكّة ووقفوا تدور في مخيّلتهم الأسئلة

---

١. الإسراء: ٨١

٢. راجع: مغازي الواقدي: ٨٣١/٢ ـ ٨٣٢؛ سعد السعود: ٢٢٠ عن تفسير الكلبي.

٣. من لا يحضره الفقيه: ٢٣٨/٢؛ وراجع ذلك مفصلاً في كتاب *الغدير*: ١٠/٧ ـ ١٣.

٤. الحجرات: ١٣.

٥. والسيرة النبوية: ٢/ ٤١٢؛ بحار الأنوار: ٢١/ ١٠٦.

والنبيﷺ واقف يدعوالله وقد علم مايدور بينهم فالتفت إليهم قائلا: «معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم» معلناً بذلك أنّ المدينة ستبقى عاصمة الإسلام.

ثم أقبل الناس يبايعونه فبايعه الرجال، وتشفّع عدد من المسلمين لدى النبيﷺ ليعفوعمن أهدر دمه فعفا وصفح.

وجاءت النساء ليبايعنه، فكانت المرأة تدخل يدها في قدح فيه ماء والرسولﷺ واضع يده الكريمة فيه: على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصين النبي في معروف.[١]

وغضب النبيﷺ حين عدت خزاعة(حليفة الرسولﷺ) على رجل من المشركين فقتلته، وقامﷺ خطيباً قائلا:

يا أيها الناس إن الله حرّم مكّة يوم خلق السماوات والأرض فهي: حرام من حرام من حرام إلى يوم القيامة، لا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دماً أويعضد فيها شجراً... .[٢]

ثم قالﷺ: «فمن قال لكم إن رسول‌الله قد قاتل فيها، فقولوا: إنّ الله قد أحلّها لرسوله، ولم يحلها لكم يامعشر خزاعة».

وأكبرت قريش جميع مواقف النبيﷺ من مكّة وأهلها من عطف ورحمة وسماحة وعفوواحترام وتقديس، فمالت قلوبهم إليه وأقبلوا على الإسلام آمنين مطمئّنين.

وأرسل رسول‌اللهﷺ سراياه إلى أطراف مكّة وما حولها لهدم ماتبقّى من الأصنام وأماكن عبادة المشركين، فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيلة بني خزيمة بعد استسلامهم ثأراً لعمّه، وغضب النبيﷺ حين علم بذلك، وأمر علياً أن يأخذ أموالاً

---

١. *المصدر.*

٢. *سيرة ابن هشام*: ٥٨/٤.

ويدفع ديّة المقتولين، ثم قامﷺ واستقبل القبلة رافعاً يديه وهويقول: «اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، وبذلك هدأت نفوس بني خزيمه.[١]

خلاصة الدرس

١. إنّ هيبة المسلمين ورهبة المشركين هي التي منعت من استمرار الفريقين في معركة مؤتة فقنع كلٌّ منهما بالمناورة.

٢. أدرك المسلمون من معركة مؤتة أنّ الجولة الحربية الحقيقية ستكون ضد الروّم وأعقب الرسولﷺ هذا التراجع، بإرسال جيش لتشتيت جموع أهل الشام استرداداً لهيبة المسلمين.

٣. نقضت قريش أحد بنود المعاهدة مع النبيﷺ فصار سبباً مباشراً لتحرّك النبيﷺ بشكل سرّي وسريع نحومكّة. وتمّ فتحها بغتة. وكان استسلام أهل مكّة عملا هائلا في تاريخ حياة النبيﷺ فقد توقّف النشاط المعادي للإسلام من أخطر مركز باشر العداء للدين الجديد أكثر من عشرين عاماً.

٤. إن فتح مكّة مهّد الطريق لاستسلام الجزيرة العربية كلّها. وسمي العام الثامن الهجري بعام (الفتح)، وأصبح المسلمون سادة مكّة، وحماة البيت الحرام.

الأسئلة

١. لماذا قرّر النبيﷺ تأديب القبائل العربية النصرانية؟

٢. ما هي المعركة التي تمّت فيها عملية التأديب؟ ماهي نتائجها؟

٣. ماذا كان موقف قريش بعد معركة التأديب التي قادها صحابة النبيﷺ؟

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٢٠؛ *الخصال*: ٥٦٢؛ *أمالي الطوسي*: ٣١٨؛ *بحار الأنوار*: ٢١/ ٥٤؛ *المغازي* ٢/٦٦٨؛ *السيرة الحلبية*: ٣/ ٦٨؛ *بحار الأنوار*: ٢١/ ١١٣؛ الممتحنة: ١٢.

٤. ما هوالسبب المباشر الذي أدّى بالنبيﷺ إلى أن يقرّر فتح مكّة؟

٥. متى تمّ فتح مكّة؟ وكيف تحقّق الفتح؟

٦. ماهوموقف النبيﷺ من اهل مكّة؟وما الذي قام به النبيﷺ من نشاط بعدالفتح؟

٧. كيف كان موقف أبيسفيان من الرسالة الإسلامية ومن نبوّة محمّدﷺ إبّان فتح مكّة؟

١٨

مرحلة الفتح والانتشار(٣)

دور التحرير وإحكام المواقع

غزوة حنين وحصار الطائف

كان فتح مكّة بداية لاستتباب التوحيد فيها، وسقوط ألوية الشرك والإلحاد إلى الأبد، ثمّ إنّ النبيﷺ أمضى خمسة عشر يوماً في مكّة، وقد عمَّ الأمان والسرور فيها لجميع المسلمين.

وترامت إلى أسماع النبيﷺ أنّ قبيلتي: هوازن وثقيف، قد أعدّتا العدة لمحاربة المسلمين؛ ظنّاً منهما أنّهما سوف يُحقّقان ماعجزت عنه قوى الشرك والنفاق.

وعزم النبيﷺ على الخروج إليهم بعد أن وطّد دعائم الإدارة في مكّة، كما هي سيرته عند كلِّ فتح، فعيّن معاذ بن جبل؛ ليعلّم الناس القرآن وأحكام الإسلام، وعيّن عتاب بن أُسيد للصلاة بالناس وإدارة شؤونهم.

وخرج النبيﷺ باثني عشر ألفاً من المسلمين، وهي قوة لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدّى بهم إلى الغرور، حتى أنّ أبا بكر قال: لولقينا بني شيبان لن نغلب اليوم من قلّة.[1]

أمّا (هوازان) و(ثقيف) فقد تحالفتا وخرجتا بعدّة قوية تصحبهم نساؤهم وأطفالهم

---

١. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ١٥٠؛ *المغازي*: ٢/ ٨٨٩

وكمنوا للمسلمين، وما إن دخلت طلائع الجيش الإسلامي أطراف الكمين حتى فرّت مجاميعهم فزعاً من أسلحة العدوالموجّهة نحوهم من أعالي الجبال.

ولم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا تسعة أشخاص من بني هاشم عاشرهم أيمن (ابن أم أيمن).

سُرَّ المنافقون سروراً عظيماً حتى قال أبوسفيان: لاتنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم، وعزم آخر على قتل النبي ﷺ في ذلك الوضع المضطرب.[١]

وأمر النبي ﷺ عمّه العباس أن يصعد على صخرة وينادي فلول المهاجرين والأنصار المُدبِرة: ياأصحاب سورة البقرة، ياأهل بيعة الشجرة، إلى أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

وعاد الوعي إلى الجموع الهاربة فعادوا يوفون بوعود النصرة والدفاع عن الإسلام والنبي ﷺ.

ولمّا رأى النبي ﷺ حماسهم قال: الآن حمي الوطيس.

أنا النبي لاكذب أنا ابن عبدالمطلب

فأنزل الله السكينة على المسلمين وأيّدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمة تاركة وراءها ستة الآف أسير وغنائم كبيرة جداً، وأمر النبي ﷺ أن تحفظ الغنائم وتراعى أحوال الأسرى حتى تتمّ ملاحقة العدو المهزوم نحومنطقة أوطاس، ونخلة، والطائف.

ومن سمو أخلاق النبي ﷺ وعظيم كرمه، عفوه عن الذين انهزموا وخذلوه.

وواصلت قوّات المسلمين ملاحقتها للعدوحتى الطائف فحاصروهم بضعاً وعشرين يوماً يترامون بالنبل من خلف الجدران والبساتين، ثم عدل النبي ﷺ عن الطائف لاعتبارات شتى.

وعند وصوله إلى الجعرانة (وهومحل جمع الأسرى والغنائم) قام إليه وفد هوازن

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٤٣؛ *المغازي*: ٣/ ٩٩.

يلتمسون العفو منه، فقالوا: يارسول‌الله، إنّما في الأسرى عمّاتك وخالاتك اللاتي كنَّ يكفلْنك ـ لأنّ النبي ﷺ كان قد رضع في بني سعد وهم من هوازن ـ ولوأنّا مالحنا الحارث بن أبي شمر، أوالنعمان بن المنذر، ثمّ نزل منّا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين.

فخيّرهم ﷺ بين الأسرى والمال، فأختاروا الأسرى، ثمّ قال ﷺ: «أمّا ماكان لي ولبني عبدالمطلب فهولكم».

واقتدى المسلمون جميعاً بالرسول الكريم ﷺ وأخذوا يهبون له مالهم من نصيب.[1]

وبحكمة بالغة ودراية عميقة بنفوس الناس، وسعياً لهداية الجميع وإطفاءاً لنار الحرب منّ الرسول ﷺ بعفوه على مثير هذه الحرب ومؤجّجها «مالك بن عوف» فقال ﷺ: «أخبروا مالكاً أنّه إن أتاني مسلماً، رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الابل». وما أسرع ماأسلم مالك، بعد هذا العفو.

وتدافع المسلمون على رسول‌الله ﷺ يطلبون منه أن يقسّم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجرة وأخذوا رداءه؛ فقال:

ردوا عليّ ردائي فوالله لوكان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسّمته عليكم، ثم ماألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولاكذّاباً.

ثم قام ﷺ وأخذ وبرة من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال: «أيّها الناس، والله، مالي في فيئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخمس، والخمس مردود عليكم».

ثم أمر أن يُردّ كلّ ماغنم حتى تكون القسمة عدلاً.

وبدأ ﷺ بإعطاء المؤلفة قلوبهم، كأبي سفيان، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام وغيرهم ممّن كان يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر، ثمّ قسّم عليهم حقّه من الخمس.

وهذا الموقف أثار الحفيظة في نفوس بعض المسلمين، حتى قال أحدهم للنبي: لم

---

١. *سيد المرسلين*: ٢/ ٥٣؛ *المغازي*: ٣/ ٩٤٩ ـ ٩٥٣.

أرك عدلت! فقال ﷺ: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند مَن يكون؟!».[١]

ورأى سعد بن عبادة أن يبلّغ النبي ﷺ بما كان يدور بين الأنصار من تصورّهم أنّ رسول‌الله قد لقي قومه ونسي أصحابه. فجمع سعد الأنصار وأقبل الرسول الكريم ﷺ يحدّثهم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

يامعشر الأنصار، مامقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموهما في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى! الله ورسوله آمَن وأفضل. قال ﷺ: ألا تجيبوني يامعشر الأنصار؟ قالوا: وماذا نجيبك يارسول الله؟ قال ﷺ: «أما والله لوشئتم قلتم، فَصَدَقْتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلا فآسيناك. وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار، في شيء من الدنيا تألّفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يامعشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار، ولوسلك الناس شِعباً، وسلكت الأنصار شِعباً، لسلكت شِعب الأنصار.

وأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار الشعور بالندم اتجاه الرسول ﷺ، فضجّوا بالبكاء وقالوا: رضينا يارسول الله حظّاً وقسماً.

وخرج النبي ﷺ بمن معه من الجعرانة متّجهاً نحومكّة في شهر ذي القعدة، فأتمّ عمرته، وحلّ من إحرامه واستخلف على مكّة عتّاب بن أسيد، ومعه معاذ بن جبل، وخرج متجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين والأنصار.[٢]

غزوة تبوك

أصبحت الدولة الإسلامية كياناً يُهاب جانبه بعد فتح مكّة، وكان على المسلمين

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٩٦، وراجع *المغازي*: ٣/ ٩٤٨.

٢. *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٩٨؛ *المغازي*: ٣/ ٩٥٧.

الحفاظ على هذا الكيان حتى تبلغ دعوة الرسالة الإسلامية أرجاء الأرض، واستنفر النبيﷺ المسلمين من جميع نقاط الدولة الإسلامية استعداداً لحرب الروم، إذ وردت أخبار تؤكّد استعدادهم لغزوالجزيرة وضرب الرسالة الإسلامية ودولتها الفتية وصادف أن كان ذلك العام عام جدب وكان الوقت صيفاً حاراً مما زاد من صعوبة الخروج لملاقاة عدوقويّ متمرّس كبير العدد والعدّة. فتقاعس بعض المسلمين وبدأت رموز النفاق تثبّط العزائم وتخذّل النفوس وتخلّف بعض عن الالتحاق بالجيش الإسلامي؛ متعللّين بعلل شتّى.

وبلغ النبيﷺ أنّ المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود، يثّبطون الناس ويخوفّونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم وشدة، فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبرةً لغيرهم.

وقد أنزل الله في ذلك آيات؛ تفضح المنافقين، وتؤنّب المتقاعسين، وتعذر الضعفاء.

وبلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل ـ على أقلّ تقدير ـ واستخلف النبيﷺ علي بن أبي‌طالب في المدينة لما كان يعلم منه من حنكة وحسن تدبير وقوة يقين؛ وكان الرسولﷺ يخشى من قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، وقالﷺ: «ياعلي إنّ المدينة لاتصلح إلاّ بي أو بك»[1] فإنّ حركة النفاق أخذت تنموبعد اندحار المشركين. وتتابع آيات القرآن الكريم بالتحذير من خطط وأساليب المنافقين خير دليل على تنامي قدرة هذا العدوداخل أراضي الدولة الإسلامية بعد الفتح.

وأشاع المنافقون عن بقاء علي بن أبي‌طالبؑ في المدينة أموراً، منها أنّه: إنّما تركه رسول الله استثقالاً له وتخففاً منه؛ سعياً منهم للإثارة وعسى أن يخلوجوالمدينة

---

١. *الإرشاد للمفيد*: ١/ ١١٥؛ *أنساب الأشراف*: ١/ ٩٤ ـ ٩٥؛ *كنز العمّال*: ١١، باب فضائل عليؑ.

لهم، فأسرع عليٌّ عليه السلام فلحق بالرسول صلى الله عليه وآله على مقربة من المدينة وقال له: يانبي الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وتخفّفت مني.

فقال صلى الله عليه وآله:

كذبوا ولكنني خلّفتك لما تركت ورائي، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى ياعلي، أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلاّ أنّه لا نبي بعدي.[1]

جيش العسرة

انطلق جيش المسلمين في طريق وعر طويل، بعد أن بيّن لهم الرسول صلى الله عليه وآله هدف المسيرة خلافاً لسيرته في الغزوات الماضية. وأخذ يتخلّف عنه في الطريق بعض ممّن خرجوا معه من المدينة، فكان يقول صلى الله عليه وآله لأصحابه: دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وأسرع النبي صلى الله عليه وآله السير حين مرّ على أطلال مدن قوم صالح عليه السلام وقال لأصحابه ـ وهويعظهم: ـ «لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلّا وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم مثل ماأصابهم»، ونهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقة.[2]

ونظراً للصعوبات التي أحاطت بهذه الغزوة من قلّة الماء والغذاء والنفقة والظهر (الخيل والإبل)، فقد سمّي هذا الجيش بـ«جيش العسرة».

ولم يلتق المسلمون بجيش الروم؛ إذ كان قد تفرّق جمعهم، واستشار الرسول صلى الله عليه وآله أصحابه في ملاحقة العدوأوالعودة إلى المدينة، فقالوا:إن كنت أُمِرت بالسير فسِرْ. فقال صلى الله عليه وآله: «ولوأُمرت به مااستشرتكم فيه»[3] فكان قرار العودة إلى المدينة.

---

١. *إمتاع الأسماع*: ١/ ٤٤٩.

٢. *السيرة النبوية*: ٢/ ٥٢١؛ *السيرة الحلبية*: ٣/ ١٣٤.

٣. المغازي: ٣/ ١٠١٩.

واتصل الرسولﷺ بزعماء المنطقة الشمالية للجزيرة، وعقد معهم عدة معاهدات تتضمّن عدم التعرّض من الجانبين للآخر.[١]

محاولة اغتيال النبيﷺ

أقفل النبيﷺ راجعاً مع المسلمين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضعه عشر يوماً في تبوك، وتحرّك المنافقون فعزموا على اغتيال الرسولﷺ وذلك بتنفير ناقته عند مرورها ليطرحوه في واد كان هناك.

وحين وصل الجيش إلى عقبة (بين المدينة والشام) قالﷺ: «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي، فإنّه أوسع لكم فأخذ الناس بطن الوادي، وسلك هوطريق العقبة، يقود ناقته عمار بن ياسر، ويسوقها حذيفة بن اليمان، فرأىﷺ في ضوء القمر فرساناً لحقوا به من ورائه في حركة مريبة فغضبﷺ وصاح بهم وأمرحذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتمالكهم الرعب وعرفوا بأنّ النبيﷺ قد علم بما أضمرته نفوسهم من المؤامرة والاغتيال فأسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس.

وطلب حذيفة من الرسولﷺ أن يبعث إليهم فيقتلهم بعدما عرفهم من رواحلهم ولكن رسول الرحمةﷺ عفا عنهم وأوكل أمرهم إلى الله تعالى.[٢]

نتائج غزوة تبوك

١. لقد برز المسلمون كقوة كبيرة منظمة، تملك العقيدة القوية فتهابهم الدول المجاورة والديانات الأخرى، فكان هذا إنذاراً حقيقياً لكلّ القوى في خارج البلاد الإسلامية وتحذيراً لها من التعرّض للمسلمين.

---

١. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ١٦٦؛ *بحار الأنوار*: ٢١/ ٢٤٦.

٢. *المغازي*: ٣/ ١٠٤٢، *مجمع البيان*: ٣/ ٤٦؛ *بحار الأنوار*: ٢١/ ٢٤٧.

٢. اطمأن المسلمون وضمنوا أمن مناطقهم، بعد أن أبرموا عدة معاهدات مع زعماء المناطق الحدودية (من جهة الشمال).

٣. استطاع المسلمون أن يعبّئوا جيشاً كبيراً في العدة والعدد، وازدادت خبرتهم في التنظيم والإعداد، وكانت الرحلة إلى تبوك بمثابة استطلاع ميداني استفاد منه المسلمون في المراحل اللاحقة.

٤. كانت غزوة تبوك اختباراً لمعنويات المسلمين وتمييزاً للمنافقين من المؤمنين.

مسجد ضرار

تتبّع الرسول ﷺ خطط المنافقين بيقظة كاملة، وراح يضع لكل خطّة تخريبيّة من قبلهم حلاً متناسباً معها.

وتحركت نوازع الحسد والحقد لدى مجموعة من المنافقين من جديد وبدعم من قوى ضالّة بنوا مسجداً مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنّه لذوي العلّة والحاجة والليلة المطيرة، فأسرعوا إلى النبيّ ﷺ يطلبون منه أن يصلّي فيه ليضفي عليه نوعاً من المقبولية فأخّر الاستجابة لهم إلى مابعد غزوة تبوك، فلمّا رجع من تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد، لأنّه كان يهدف إلى تشتيت كلمة المسلمين والإضرار بالأمّة والعقيدة، وشتان بين بنيان أسّس على التقوى وآخر للضلالة والنار فأمر النبيّ ﷺ بعض أصحابه للإسراع في هدمه وإحراقه.[١]

خلاصة الدرس

١. أحدث فتح مكّة ردّ فعل عنيف لدى القبائل العربية، كهوازن وثقيف التي

---

١. *السيرة النبوية*: ٢٠/ ٥٣٠؛ *بحار الأنوار*: ٢٠/ ٢٥٣؛ *السيرة النبوية*: ٢/ ٤٢٠؛ *الخصال*: ٥٦٢؛ أمالي الطوسي: ٣١٨؛ *إمتاع الأسماع*: ١/ ٤٠٩.

حاولت أن توجّه ضربة للقوات الإسلامية. وقد حالفها الحظ في أوّل الأمر، ولولا صمود النبيﷺ ونفر من أهل بيته وأصحابه وإيمان المسلمين واستجابتهم لدعوة رسولهم العظيم وتكاتفهم لمحاربة العدو، لاكتسحت هاتان القبيلتان قوّات المسلمين.

٢. كانت غزوة حنين تجربة قيّمة للمسلمين لئلاّ يغترّوا بكثرة العدد فإن قدرة الإيمان هي التي تؤدّي إلى النصر دائماً.

٣. حاصر النبيﷺ الطائف، ثمّ تركها لما كان يراه من أنّها ستسعى للالتحاق بدولة الرسولﷺ في آخر المطاف. على أنّ غزوة تبوك كانت هي الأهمّ بعد وصول الأنباء باستعداد الروم لغزوالمسلمين.

٤. حقّق النبيﷺ بتحرّكه إلى تبوك ـ مع مالاقاه من عسر ـ انتصاراً على الجبهة النصرانية البيزنطية لايقلّ عن انتصاراته على الجبهتين الوثنية واليهودية، وكسب عدداً من القبائل القاطنة في جنوب الشام، ومثّلت غزوة تبوك أيضاً خطوة لتخطّي نطاق جزيرة العرب إلى العالم أجمع.

٥. جاءت تجربة تبوك لتمحيص قوى الإيمان من فلول المنافقين ونجّى الله نبيّه من مؤامرة المنافقين لاغتياله، وعفى عنهم الرسولﷺ بعد ذلك، وأمر بحرق قاعدة من أهمّ قواعدهم التي شيّدوها تحت غطاء (المسجد).

وهكذا انتهى العام الثامن، وتسعة أشهر من العام التاسع، والانتصارات تتوالى على الرسولﷺ والمسلمين.

الأسئلة

١. ماذا كانت ردود الفعل لفتح مكّة على سائر القبائل المشركة؟

٢. كيف خطّطت هوازن وثقيف لضرب القوات الإسلامية؟

٣. كيف انتصر المسلمون في حنين؟ ولماذا؟

٤. ما هي النتائج التي حقّقتها غزوة حنين؟

٥. لماذا حاصر النبيﷺ الطائف؟ ولماذا ترك الحصار؟

٦. ما هي أسباب غزوة تبوك؟

٧. ما هي أهمّ نتائج غزوة تبوك؟

١٩

عام الوفود وتصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة

كان فتح مكّة على أيدي المسلمين، ثمّ هزيمة التحالف الوثني في حنين آخر معقلين سقطا للوجود الوثني في الجزيرة، انهار بعدهما جدار الكفر وانطلقت حركة الإسلام بسرعة إلى كلّ مكان. وأدركت القبائل العربية أن لامناص لها من تحديد موقفها من الإسلام ودولته المتفرّدة بالحكم والسلطان في الجزيرة كلّها... فراحت تتسابق هذه القبائل في إرسال وفودها الى عاصمة الإسلام ـ مدينة الرسولﷺ ـ وإعلان البيعة والولاء للإسلام، أو إعلان المصالحة معه.

ولكثرة هذه الوفود في العام التالي لفتح مكّة ومطلع العام الذي يليه، سمّاه المؤرّخون (عام الوفود).

وكان في طليعة هذه الوفود، وفد ثقيف الذي قدم المدينة في أعقاب عودة الرسولﷺ من غزوة تبوك.

رحبّ النبيﷺ بقدوم وفدثقيف، وضربت لهم قبّة في ناحية المسجد النبوي وكلّف النبيّﷺ خالد بن سعيد، ليقوم بالضيافة، ثمّ بدأ الوفد يفاوض النبيﷺ على الإسلام بشروط هي: أنّه يترك لهم صنم القبيلة مدّة من الزمن، فأبى النبيﷺ ولم يقبل منهم إلا التوحيد الخالص لله، وتنازل القوم شيئاً فشيئاً حتى وصل الأمر أن قبلوا

الإسلام بشرط أن يعفيهم النبيﷺ عن كسر أصنامهم بأنفسهم، وشرطوا أن يعفيهم النبيﷺ من الصلاة فقالﷺ: لاخير في دين لاصلاة فيه... فقبلوا الإسلام، وبقي الوفد مع النبي مدّة من الزمن يتعلّمون أحكام الدين. ثم كلّف رسول اللهﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها.[1]

وفاة إبراهيم ابن النبيﷺ

وفي غمرة أفراح النبيﷺ بانتصار الإسلام وانتشاره، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، مرض إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني، وجعلت أُمّه مارية تمرّضه، فلم ينفع معه شيء، فأبلغ النبيﷺ باحتضار ولده، فأقبل وإبراهيم يجود بنفسه في حضن أُمّه فاخذه النبيﷺ وقال:

> ياإبراهيم، إنّا لن نغني عنك من الله شيئاً، إنّا بك لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب ولانقول مايسخط الرّب، ولولا أنّه وعدٌ صادق وموعود جامع فإن الآخر منّا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ماوجدناه.[2]

وبدت علامات الحزن واضحة على قسمات وجه النبيﷺ وقيل له: يارسول الله أولست قد نهيتنا عن هذا. فقالﷺ: «ماعن الحزن نهيتُ ولكني نهيتُ عن خمش الوجوه وشق الجيوب، ورنّة الشيطان.»[3]

إعلان البراءة من المشركين

لم يبق في الجزيرة العربية قوّة تتمسّك بالشرك والوثنية إلاّ أفراد لا يعتدّ بهم، وانتشرت العقيدة الإسلامية السمحاء بتفاصيلها التي كان يعتنقها المسلمون، وكان لابدّ من إعلان

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٥٣٧؛ *السيرة الحلبية*: ٣/ ٢١٦.

٢. *السيرة الحلبية*: ٣/ ٣١١، *بحار الأنوار*: ٢٢/ ١٥٧.

٣. *السيرة الحلبية*: ٣/ ٣١١.

صريح حازم يلغي كلّ مظاهر الشرك والوثنية في مناسك أكبر تجمّع عبادي سياسي.

وحان الوقت المناسب لتعلن الدولة الإسلامية شعاراتها في كلّ مكان وتنهي مرحلة المداراة وتأليف القلوب التي تطلبتها المرحلة السابقة.

واختار النبيﷺ يوم النحر (في منى)[1] مكاناً للإعلان واختار أبا بكر ليقرأ مطلع سورة التوبة[2] الذي تضمّن إعلان البراءة بصراحة وتضمنت هذه الآيات بيان الأمور التالية:

١. لايدخل الجنّة كافر.

٢. لايطوف في البيت الحرام عُريان بعد اليوم.

٣. لايحجّ بعد هذا العام مشرك.

٤. من كان بينه وبين رسول اللهﷺ عهد فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد ومدة معه فإلى أربعة أشهر، وبعدها سوف يقتل كلّ من بقي على الشرك.

ونزل الوحي الإلهي على النبيﷺ قائلا: «إنّه لايؤدي عنك إلا أنت أورجل منك».

فاستدعى النبيﷺ علياً وأمره أن يركب ناقته العضباء، ويلحق بأبي بكر ويأخذ منه البلاغ ويؤدّيه هو للناس.[3]

ووقف عليّ بن ابي طالب؈ بين جموع الحجيج وهويتلوالبيان الإلهي بقوّة وجرأة، تتناسب مع حزم القرار ووضوحه. ووقف الناس ينصتون إليه بحذر ودقّة... وكان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول اللهﷺ.

---

١. العاشر من ذي الحجة عام (٩ هـ).

٢. التوبة: ١ ـ ١٣.

٣. *الكافي*: ٣٢٦/١؛ *الارشاد*: ٣٧؛ *الغزوات*: ١٠٧٧/٣؛ *خصائص النسائي*: ٢٠؛ *صحيح الترمذي*: ١٨٣/٢؛ *مسند أحمد*: ٢٨٣/٣؛ *فضائل الخمسة من الصحاح الستة*: ٣٤٣/٢.

مباهلة نصارى نجران

واجتمع زعماء نصارى نجران وحكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبيﷺ، الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام. ولم يتوصّلوا إلى رأي قاطع؛ لانّ ما في أيديهم من تعاليم تؤكّد وجود نبي بعد عيسىعليه السلام اسمه أحمد وكلّ الدلائل والعلامات تشير الى صحة نبوّة محمّدﷺ. فأجمعوا أن يرسلوا وفداً يقابل النبيﷺ نفسه ويحاوره.

واستقبل النبيﷺ الوفد الكبير، وعلامات السخط بادية عليه بسبب مظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية؛ فقد كانوا يرتدون الديباج والحرير ويلبسون الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية وقد بدّلوا مظهرهم، فرحّب بهم النبيﷺ وأبدى احترامه لهم وفسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم.[١]

ثم عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا وكثر الحِجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبيﷺ بأمر من الله عزّ وجلّ واتفقوا على اليوم اللاحق موعداً.

وخرج إليهم رسول اللهﷺ يحمل الحسين بن علي، وبيده الحسن بن علي وخلفه تمشي فاطمة الزهراء وعلي بن أبي‌طالب؛ امتثالا لأمر الله، حيث نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[٢]

ولم يصحب النبيﷺ أحداً من المسلمين سوى أهل‌بيته هؤلاء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقال أسقف نجران: يامعشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لوسألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

---

١. *السيرة الحلبية*: ٣/ ٢١١؛ *السيرة النبوية*: ٥٧٤.

٢. آل عمران: ٦١.

فأبوا أن يباهلوا النبيﷺ وأهل بيته، فقالﷺ: «أمّا إذا أبيتم المباهلة، فأسلموا يكن لكم ماللمسلمين وعليكم ما على المسلمين» فأبوا ذلك.

فقالﷺ: إني أناجزكم القتال. فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لاتغزونا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك.

وقالﷺ:

> والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا؛ لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل نجران وأهله، حتّى الطّير على رؤوس الشّجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا.

«فرجعوا إلى بلادهم».[1]

وروي أنّ السيّد والعاقب من زعمائهم لم يلبثا إلاّ يسيراً حتى عادا إلى النبيﷺ ليعلنا إسلامهما.[2]

حجّة الوداع

بحلول شهر ذي القعدة من العام العاشر للهجرة عزم النبيﷺ على أداء فريضة الحج ـ ولم يكن قد حجّ مع المسلمين من قبل ـ ولم تبلّغ جميع أحكام الحجّ، فكتب إلى من بلغه كتابه ممّن دخل في الإسلام، أن رسول اللهﷺ يريد الحجّ، يؤذنهم بذلك؛ ليحج من أطاق الحجّ. وأمر المؤذّنون بأن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول اللهﷺ يحجّ عامه هذا.[3]

فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة يتجهّزون للخروج مع النبيﷺ حتى بلغ

---

١. *التفسير الكبير*، للرازي: ٨/ ٨٥.

٢. *الطبقات الكبرى*: ١/ ٣٥١.

٣. *فروع الكافي*: ٢٣٤/١.

عددهم مايقارب مائة ألف مسلم من مختلف الحواضر والبوادي والقبائل تجمعهم المودّة الصادقة والأخوة الإسلامية والاستجابة للرسول القائدﷺ بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداءاً متنافرين، جُهّالا كافرين. واصطحب النبيﷺ معه كل نسائه وابنته الصدّيقة فاطمة الزهراءعليها السلام وتخلّف عنه علي بن أبي‌طالبعليه السلام حيث كان قد بعثه النبيﷺ في مهمّة إلى اليمن، واستعمل على المدينة، أبا دجانة الأنصاري.

وعند ذي الحليفة أحرم النبيﷺ بلبس قطعتين من قماش أبيض، ولبّى عند الإحرام قائلا:

لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لاشريك لك لبّيك، إنّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لاشريكَ لك لبيك.

وفي الرابع من شهر ذي الحجة الحرام شارف النبيﷺ مكّة فقطع التلبية، ثمّ دخلﷺ المسجد الحرام، وهويكثر الثناء على الله ويحمده ويشكره فاستلم الحجر وطاف سبعاً، وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيمعليه السلام، ثمّ سعى بين الصفا والمروة والتفت إلى الحجيج قائلا:

من لم يسق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عُمرة، ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه.

على أنّ بعض المسلمين لم يستجب لأمر الرسولﷺ فغضب النبيﷺ لموقف الناس وقال: «لوكنت استقبلت من أمري مااستدبرت لفعلت كما أمرتكم».[1]

ووصل علي بن أبي‌طالبعليه السلام قادماً من اليمن إلى مكّة ليلتحق برسول اللهﷺ على مشارف مكّة. وسرّ النبيﷺ بلقاء عليعليه السلام وما حقّقه من نجاح في اليمن، وقالﷺ له: انطلق فطف بالبيت وحِلّ كما حلّ أصحابك. فقالعليه السلام: يارسول الله، إنّي أهللت كما أهللت، ثم قالعليه السلام: إنّي قلت حين أحرمت: «اللهمّ إنّي أُهلّ بما أهلّ به عبدك ونبيك

---

١. *بحار الأنوار*: ٢١/ ٣١٩.

ورسولك محمدﷺ» ثمّ أمرهﷺ أن يعود إلى سريّته ويصحبهم إلى مكّة.

وفي اليوم التاسع من ذي الحجّة، توجّه النبيﷺ تصحبه جموع المسلمين نحوعرفات.

ومكثﷺ في (عرفات) حتى غروب اليوم التاسع، ومع الظلام ركب ناقته وأفاض إلى (المزدلفة) وأمضى فيها شطراً من الليل ولم يزل واقفاً من الفجر إلى طلوع الشمس في المشعر الحرام. ثمّ توجّه في اليوم العاشر إلى «منى» وأدّى مناسكها من رمي الجمرات والنحر والتقصير ثمّ توّجه نحومكّة لأداء بقية مناسك الحجّ.

وقد سمّي هذا الحجّ بـ«حجّة الوداع» لأنّهﷺ ودّع المسلمين في هذه الحجّة، كما سُمّيت بـ«حجّة البلاغ» لأنّهﷺ بلّغ فيها ماأُنزل إليه من ربّه في شأن الخلافة من بعده، ومنهم من سمّاها بـ«حجة الإسلام» لأنّها الحجّة الأُولى للنبيﷺ والتي بيّن فيها أحكام مناسك الحج.

خطبة النبيﷺ في حجّة الوداع

وروي أنّ النبيﷺ قد خطب خطاباً جامعاً فقال ـ بعد أن حمدالله وأثنى عليه ـ:

«أيّها الناس! اسمعوا منّي أبيّن لكم، فإنّي لاأدري لعلّي لاألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيّها الناس! إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها، وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل رباً أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبدالمطلب.

وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمْد قَود، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهومن أهل الجاهلية.

أيّها الناس! إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنّه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممّا تحتقرون من أعمالكم.

أيّها الناس! ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.[١] وإنّ الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾،[٢] ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

أيّها الناس! إنّ لنسائكم عليكم حقاً وإنّ لكم عليهن حقاً. لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلاّ بإذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهنّ بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوار لايملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً.

أيّها الناس! ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣] فلا يحلّ لامرىء مال أخيه إلاّ عن طيب نفس. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإنّي تركت فيكم ماإن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعِترتي أهل بيتي، ألا هل بلّغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس! إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عندالله أتقاكم، ليس لعربي على عجميّ فضل إلاّ بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قالﷺ: فليبلّغ الشاهد منكم الغائب.[٤]

---

١. التوبة: ٣٧.

٢. التوبة: ٣٦.

٣. الحجرات: ١٠.

٤. بحار الأنوار: ٢١/ ٤٠٥.

أيّها الناس! إنّ الله قد قَسَم لكلّ وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادّعي إلى غير أبيه أوتولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا... والسلام عليكم ورحمة الله».[1]

خلاصة الدرس

١. كان العام التاسع الهجري عام الوفود وعام تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة العربية من خلال الإعلان الرسمي بالبراءة من المشركين، الأمر الذي أدىّ بالمسلمين أن يخرجوا من حدود الجزيرة للدعوة إلى الإسلام الذي قويت فيه شوكة المسلمين بعد الانتصار العظيم الذي تحقّق بعد غزوة تبوك الظافرة.

٢. بعد هذا الإعلان الرسمي أصبحت الجزيرة ذات دولة مركزية وسيادة سياسية تعتمد الإسلام نظاماً للحياة وأصبح الكفر والشرك شذوذاً وخروجاً على نظام الدولة الجديدة.

٣. كانت دعوة القبائل النصرانية للدخول في دين الإسلام، ثمّ دعوتها الى المباهلة وتراجعها أمام دعوة المباهلة دليلا كافياً على عظمة الإسلام وسبباً لرضوخها للقيادة الاسلامية وقطع صلتها بدولة الروم النصرانية بعد إدخالهم في عقد الذمة مع الدولة الإسلامية.

٤. كان العام العاشر عام «حجّة الوداع» «أوحجّة البلاغ» التي أتمّ فيها الرسولﷺ الحجج البالغة على جميع المسلمين، وجعلهم أمام مسؤولياتهم الربانية، وأعدّهم للدور القادم بعد وفاته، لحمل مشعل الإسلام إلى ربوع الأرض.

---

١. *العقد الفريد*: ٤/ ٥٧؛ *الطبقات الكبرى*: ٢/ ١٨٤؛ *الخصال*: ٤٨٧؛ *بحار الأنوار*: ٢١/ ٤٠٥؛ وقد ورد النصّ في مصادر السيرة والتاريخ مع اختلاف يسير. كما أنّ بعض النصوص تذكر جواب الناس للنبيﷺ كلمّا سألهم: ألا هل بلّغت؟فيجيبوه بقولهم: نعم؛ للمزيد من التفصيل راجع: موسوعة *الغدير* للعلاّمة الأميني، الجزء الأوّل؛ المائدة: ٦٧.

الأسئلة

١. لماذا سمّي العام التاسع بعام الوفود؟

٢. ماهو موقف النبيﷺ من وفاة ابنه إبراهيم؟

٣. ما هي دلالات إعلان البراءة من المشركين؟

٤. كيف تمّ إعلان البراءة من المشركين؟

٥. متى كانت حجّة الوداع ولماذا سُمّيت بذلك؟

٦. ما هي أهمّ النقاط التي أكدّ عليها النبيﷺ في خطبته يوم عرفة في حجّة الوداع؟

۲۰

الرسول القائدﷺ ومستقبل الرسالة والدولة الإسلامية

تعيين الوصي والقيادة النائبة

أتمّ المسلمون حجّهم الأكبر وهم يحيطون بالنبيﷺ، وقد أخذوا مناسكهم عنه، وقرّرﷺ أن يعود إلى المدينة، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم «رابغ» قرب «غدير خم» وقبل أن يتفرّق الحجيج إلى بلدانهم من هذه المنطقة، نزل الوحي الإلهي بآية التبليغ قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾.[1]

إنّ هذا الخطاب الإلهيّ كان يأمر الرسول بأمر مهمّ ويجعل على عاتقه مسؤولية عظيمة. فأيّ تبليغ طُلب من الرسول إنجازه وهولم يقم به بعد؟ وقد أمضى النبيﷺ مايقارب من ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه، ويدعوالناس إلى دين الله، وقد نال مانال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: «وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه».

وهنا أصدر النبيﷺ أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأوّلها في يوم شديد الحر، كان يضطر المرء فيه أن يغطّي رأسه ويقي قدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلوعليهم أمر السماء، ويكمل تبليغ الرسالة الخاتمة. إنّها الحكمة الإلهية بأن يتّم

---

۱. المائدة: ٦٧.

التبليغ في هذا المكان وفي هذا الظرف، كي يبقى عالقاً في وجدان الأمّة حيّاً في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظاً على الرسالة والأمّة الإسلامية.

وجمعت الرحال وصعد عليها النبيﷺ بعد أن صلّى في جموع المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه، وقال بصوت رفيع يسمعه كلّ من حضر:

«أيّها الناس! يوشك أن أُدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً. قالﷺ: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق وأنّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قالﷺ: اللهمّ اشهد.

ثم قالﷺ: فإنّي فَرْطكم على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأنّ عرضه مابين صنعاء وبُصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يارسول الله؟ قالﷺ: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله (عزّ وجلّ) وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لاتضلوا. والآخر الأصغر عترتي. وأنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب‌عليه السلام حتى رُئي بياض إبطيهما وعرفه الناس أجمعون. فقالﷺ: «أيها الناس! من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قالﷺ:

إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه» ـ يقولها ثلاث مرات.

ثم قالﷺ:

اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله، بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1]

فقال رسول اللهﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بعدي.

ثم أمرﷺ أن تنصب خيمة لعليعليه السلام وأن يدخل عليه المسلمون فوجاً فوجاً ليسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلّهم، وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممّن معه أن يفعلن ذلك.

وكان في مقدمة المهنّئين أبوبكر وعمر بن الخطاب، كلٌّ يقول: بخ بخ لك ياابن أبي‌طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.[2]

ثمّ تفرّقت جموع الحجيج من غدير خم نحوالعراق، والشام، واليمن، ويممّ النبيﷺ بأصحابه صوب المدينة. وحمل الجميع وصية الرسولﷺ، بالقيادة النائبة لتستمرّ حركة الرسالة الإسلامية بنهج تتعمق في النفوس وتجتاز العقبات بعد أن يرحل عنها صاحب الرسالةﷺ ويكون قد عيّن لصيانة رسالته وقيادة اُمّته شخصاً نموذجياً في حمل هموم الرسالة والحرص على نجاحها لاتأخذه في الله لومّة لائم، ولم يشرك بالله طرفة عين، ذلك علي‌بن أبي‌طالب.

ظهور المتنبئين

بعد أن انبسط سلطان الدين الإلهي في ربوع الجزيرة وما والاها، وانحازت القبائل جميعاً إلى دولة الرسولﷺ؛ لِما رأوه من العزة والاستقلال الذي اكتسبوه في ظلال دولته المباركة، ولما لاحظوه من حرصه على أن ينصب خليفة في اُمته وأميناً على

---

١. المائدة: ٣.

٢. راجع *تاريخ اليعقوبي*: ٣/ ١١٢؛ *مسند أحمد*: ٤/ ٢٨١؛ *البداية والنهاية*: ٥/ ٢١٣؛ *موسوعة الغدير*: ١/ ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، والجزء ١١/ ١٣١.

دولته والقائم على شؤون رسالته من اعتبره القرآن الكريم نفس الرسول العظيم.[١]

فمن الطبيعي جداً للنفوس السليمة بفطرتها أن تخلص الولاء لهذا الرسول ودولته الفتيّة.

ولم يعد من العسير أن يتمردّ بعض الأعراب ويرتدّوا عن ولائه السياسي بل العقيدي، وهويرى أن النبيّ والنبوة ليس إلاّ سلطاناً و سَلْطَنة، كما كان أبوسفيان يرى النبيّ كذلك.

غير أنّ الاذكياء من ذوي الأطماع من هؤلاء كانوا يرون أنّ من صلاحهم الخضوع لهذا الكيان الجديد فكانوا يخطّطون للنفوذ إلى مراكز القوة في الدولة الجديدة، والأغبياء الطامعين منهم بدأوا في التمردّ على النبيﷺ طالبين منه أن يقسّم سلطانه بينه وبينهم.

مسيلمة يدّعي النبوّة

إنّ الطمع في الشرف الذي نالته قريش يوم ظَهَر فيها محمّد نبياً ـ كما ظنّ الجاهلون ـ كان ممّا دفع البعض لأن يدّعي النبوة، فهذا (مسيلمة) يكتب للنبيﷺ ويدّعي النبوة ليشارك النبيﷺ في سلطان الأرض، ولمّا وقف النبيﷺ على مضمون الرسالة التفت إلى من حملها إليه وقال: «لولا أنّ الرسل لاتُقتل لضربتُ أعناقكما، لأنّكما أسلمتما من قبل، وقبلتما برسالتي فلِمَ اتّبعتما هذا الأحمق وتركتما دينكما؟»

ثم ردّ على مسيلمة الكذّاب برسالة بعثها إليه: جاء فيها:

> بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول‌الله إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.[٢]

---

١. راجع آية المباهلة وقصّتها في الدرس رقم ١٩.

٢. *السيرة النبوية*: ٢/ ٦٠٠.

التعبئة العامّة لغزو الروم[1]

اهتم النبي ﷺ اهتماماً كبيراً بالحدود الشمالية للدولة الإسلامية، حيث توجد دولة الروم المنظّمة وصاحبة الجيش القوي، وأمّا فارس فلم تكن ذات أثر مُقلق؛ لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنّها لم تكن تمتلك عقيدة روحية تدافع عنها كالمسيحية لدى الروم.

على أنّ بعض عناصر الشغب والنفاق كانت قد أُجليت عن الدولة الإسلامية فاتّجهت إلى الشام، وكان وجود نصارى نجران في الجنوب أيضاً عاملاً سياسياً يدفع الروم لنصرتهم.

جيش إسامة

وكل هذه لم تكن عوامل آنيّة عاجلة تستدعي الاهتمام الكبير الذي ظهر واضحاً من إعداد النبي ﷺ لجيش كبير يضم وجوه كبار الصحابة ماخلا عليّاً عليه السلام وبعض المخلصين معه.

من هنا يظهر أنّ النبي ﷺ كان يريد أن يخلو الجو السياسي من أمور تعيق استلام وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام زمام السلطة من بعده، بعد أن لمس تحسّساً وانزعاجاً من بعض الأطراف لتأكيده المستمر على مرجعيّة علي عليه السلام وخلافته من بعده، لأنها ضمانة لاستمرار مسيرة الرسالة الإسلامية وعدم انحرافها، وليست بيعة الغدير ببعيدة عنه، فأراد النبي ﷺ أن تخلو المدينة من أيّ توتّر سياسي، ليتمّ لعلي عليه السلام ماخطّط له، من استلام مقاليد الخلافة والإمامة من بعده، ولهذا عقد النبي ﷺ لواء المسلمين وسلّمه إلى أُسامة بن زيد القائد الشاب الذي نصبه الرسول ﷺ بمغزى واضح وإشارة بليغة إلى أهمية

---

١. عقد ﷺ اللواء لأسامة في صفر عام (١١ هـ).

الكفاءة في القيادة، وجعل تحت إمرته شيوخ الأنصار والمهاجرين. وقالﷺ له:

سِر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش، فاغز صباحاً وشنّ الغارة على أهل أبنى.

ولكنّ روح التمرد وقلّة الانضباط التي كانت تبدر من بعض المسلمين أخذت تظهر بشكل واضح ضد أوامر النبيﷺ و توجيهاته، وفي حركة الجيش الذي كان قد عسكر في «الجرف».

وبلغ النبيﷺ ذلك فغضب وخرج وهويلتحف قطيفة، وقد عصَّبَ جبهته بعصابة من ألم الحمّى التي أصابته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد أيّها الناس! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة، فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله كان للإمارة خليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة.[1]

واشتدت الحمّى برسول اللهﷺ ولم يشغله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير منه لخروج الجيش فكان يقول: «أنفذوا جيش أُسامة»[2] لكل من يعوده من أصحابه ويزيد إصراراً بقوله: «جهِّزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلَّف عنه».[3] وأوصل بعض المسلمين أنباء تردّي صحّة النبيﷺ إلى معسكر المسلمين في «الجرف» فرجع أُسامة يعود النبيﷺ فحثّه على المضيّ نحوهدفه الذي رسمه له قائلا له: «أُغدُ على بركة الله».

فعاد أُسامة مسرعاً لجيشه يحثّه على الخروج ولكن المتقاعسين وذوي الأطماع في الخلافة تمكّنوا من عرقلة مسيرة الجيش زاعمين أنّ النبيﷺ يحتضر، بالرغم من إصرار الرسولﷺ على التعجيل في المسير وعدم التخلّف عنه.

---

١. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ١٣٦.

٢. *المصدر*: ٢/ ١٣٧.

٣. *الملل والنحل*: ١/ ٢٣.

الحيلولة دون كتابة الوصية

ورغم ثقل الحمّى وألم المرض، خرج النبيﷺ مستنداً على عليعليه السلام والفضل بن العباس؛ ليصلّي بالناس وليقطع بذلك الطريق على الوصوليين كي لا يتخذوها حجّة ويتقمّصوا الزعامة التي طمحوا لها من قبل وقد عصوا الرسولﷺ مِن قبل وتخلّفوا عن أمره بالخروج مع جيش أسامة.

وحين أتمّ الصلاة التفت إلى الناس قائلاً:

«أيها الناس! سُعّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإنّي والله ماتمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ماأحلّ الله، ولم أحرّم إلّا ماحرّم الله».[1]

فأطلق بقوله هذا تحذيراً آخر أن لايعصوه وإن لاحت في الأُفق نواياهم السيّئة التي ستجلب الويلات للأمّة إذ يتزعّمها جهّالها.

واشتدّ المرض على النبيﷺ واجتمع الصحابة في داره ولحق بهم من تخلّف عن جيش أُسامة فلامهم النبيﷺ واعتذروا بأعذار واهية. وحاول النبيﷺ أن يعرقل المؤامرة السياسية التي كان يتوقّعها من بعد وفاته فقالﷺ للحاضرين عنده: أيتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده أبداً.

فقال عمربن الخطاب: إنّ رسول‌الله قد غلبه الوجع،[2] وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

ووقع التنازع والاختلاف، وقال له بعضهم: ألا نأتيك يا رسول‌اللهﷺ بكتف ودواة؟ فقالﷺ: «أبعد الذّي قلتم؟! لا، ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً» ثمّ أعرض بوجهه عنهم، فنهضوا، وبقي أهل بيته خاصة، وفيهم علي‌بن طالب، والعباس، والفضل.[3]

---

١. *السيرة النبوية*: ٢/ ٦٥٤؛ *الطبقات الكبرى*: ٢/ ٢١٥.

٢. صحيح *البخاري*، كتاب العلم باب كتابة العلم، وكتاب الجهاد باب جوائز الوفد.

٣. راجع: *أمالي المفيد*: ٢١٢م ٢٤ح٢؛ ونحوه وفي الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٤؛ كنزالعمال: ١٣٨/٣.

وكم كانت الأمّة بحاجة ماسّة لكتاب الرسولﷺ هذا حتى أنّ ابن عباس كان يأسف كلمّا يذكر ذلك ويقول: الرزية كلّ الرزية ماحال بيننا وبين كتاب رسول‌الله.[١]

ولم يصرّ نبي الرحمة على الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفاً من تماديهم في الإساءة وإنكارهم لما هوأعظم، فقد علمﷺ بما في نفوسهم، وحين راجعوه ثانية بشأن الكتاب قالﷺ: «أَبَعْدَ الذي قلتم؟!»[٢] وأوصاهم ثلاث وصايا...تذكر كتب التاريخ اثنتين منها وهما: إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد كما كان يجيزهم، وزعم نسيان الثالثة.

وعلّق السيد محسن الأمين على ذلك قائلا: والمتأمل لايكاد يشكّ في أنّ الثالثة سكت عنها المحدّثون عمداً لا نسياناً، وأنّ السياسة اضطرتهم إلى السكوت عنها عمداً وتناسيها وأنّها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم.[٣]

الزهراءعليها السلام تزور أباهاﷺ

وأقبلت الزهراءعليها السلام وهي تجرّ أذيالها بحزن، وتتطلّع إلى أبيها وهويوشك أن يلتحق بربّه فجلست عنده منكسرة القلب دامعة العين مختنقةً بعبرتها وهي تردّد:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالَ اليتامى عصمة للأرامل

وفي هذه اللحظات فتح النبيﷺ عينيه من إغمائه وقال بصوت خافت: «يابنيّة! هذا قول عمّك أبي‌طالب، لاتقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.[٤]

---

١. *صحيح البخاري*، كتاب العلم: ٢٢/١ و١٤/٢؛ *الملل والنحل*: ٢٢/١؛ *الطبقات الكبرى*: ٢٤٤/٢.
٢. *بحار الأنوار*: ٤٦٩/٢٢.
٣. *أعيان الشيعة*: ٢٩٤/١.
٤. آل عمران: ١٤٤.

وأشار النبيﷺ إلى حبيبته الزهراءﷺ أن تدنو منه؛ ليحدّثها، فانحنت عليه فسارّها بشيء فبكت، ثمّ سارّها ثانية فضحكت. ممّا أثار فضول الحضور وسألوها عن سرّ ذلك فقالتﷺ: ماكنت لأفشي سرّ رسول اللهﷺ.

وسئلت الزهراء بعد وفاة النبيﷺ عن ذلك ثانية فقالت:

أخبرني رسول اللهﷺ أنّه قد حضر أجله وأنّه يقبض في وجعه هذا، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أولّ أهله لحوقاً به فضحكتُ.[١]

اللحظات الأخيرة من عمر النبيﷺ

وكان عليﷺ يلازم الرسولﷺ كظلّه حتى آخر لحظات حياته الشريفة وهويوصيه ويعلّمه ويضع سرّه عنده.

نعم، في الساعة الأخيرة، قال رسول اللهﷺ: ادعوا لي أخي ـ وكانﷺ قد بعثه في حاجة، فجاءه بعض المسلمين فلم يعبأ بهم الرسولﷺ حتى جاء عليﷺ فقالﷺ له: اُدن مني. فدنا عليﷺ فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه حتّى بدت عليهﷺ علامات الاحتضار،[٢] وتوفّي رسول اللهﷺ وهوفي حجر عليﷺ... كما قد صرّح بذلك عليﷺ نفسه في إحدى خطبه[٣] الشهيرة.

خلاصة الدرس

١. لقد تغافل المؤرخون عن أهمّ قضيّة حدثت في أواخر حياة الرسولﷺ، وحاول البعض تأويل ماأشارت إليه آية التبليغ وأية إكمال الدين وإتمام النعمة... جرياً مع السياسة التي تحكّمت في شؤون المسلمين بعد وفاة رسول اللهﷺ.

---

١. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ٢٤٧؛ *الكامل في التاريخ*: ٢/ ٢١٩.

٢. *الطبقات الكبرى*: ٢/ ٢٦٣.

٣. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٩٧.

٢. لعلّ خضوع الصحابة واستسلامهم للأمر الواقع لئلاّ تتمزّق الدولة الإسلامية هوالذي جعل البعض يعتقد بشرعية الحكم القائم بعد الرسولﷺ وبحكم هذه الشرعية المزعومة غضّوا الطرف عن حقائق التاريخ أوجوّزوا تحريف الحقائق بما يتناسب مع ماحدث بعد الرسولﷺ.

٣. إنّ هذا الصراع بين التيارات المختلفة على الخلافة لايبعد أن يكون هوالعامل الرئيسي لجرأة المتنبئين وادعائهم النبوّة طلباً للملك والسلطان ولم تنجح خطوات الرسولﷺ للحيلولة دون التمرّد السياسي الذي كان يتوقعه حين نزلت عليه آية التبليغ. ولكنّ الله قد عصمه من الناس واختبر أمّته أشدّ اختبار في التاريخ، ووعده الله تعالى النصر على الدين كله ولوكره المشركون.

الأسئلة

١. كيف ومتى تمّ الإعلان عن الوصي الذي عيّنه الرسولﷺ للخلافة و الإمامة من بعده؟

٢. لماذا كان الاهتمام من الرسولﷺ بقضية الوصية بليغاً؟

٣. لماذا أهمل بعض المؤرخين نصوص الوصية؟

٤. لماذا أصرّ النبيﷺ على الخروج لصلاة الجماعة في المسجد، وهو مريض؟

٥. لماذا عبّأ النبيﷺ جيش أُسامة؟ ولماذا كان يؤكّد على جدارة أُسامة للقيادة؟

٦. ما هي ردود فعل كبار الصحابة تجاه الانخراط في جيش أُسامة؟

٧. لماذا تخلّف بعض الصحابة عن جيش أُسامة بالرغم من تأكيد الرسولﷺ ولعنِه المتخلّفين عنه؟

٨ ما هي دلالات محاولة الرسولﷺ لكتابة الوصية بالرغم من إعلانها في غدير خم؟

٢١

دولة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

قامت الدولـة الإسلامية الأولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله بعد أن استكملت عناصر تكوين الدولة في أحدث مفاهيمها المعاصرة، وهي:

الأمّة أو الشعب، والسلطة المعترف بها من قبل الشعب، والقوانين الواحدة لجميع أفراد الشعب من دون تمييز بين فرد وآخر.

لقد تكوّنت النواة الأولى للدولة الإسلامية ـ على المستوى العملي التطبيقي ـ عند إنجاز بيعة العقبة الثانية بين النبي صلى الله عليه وآله ووفد(الأوس) و(الخزرج) إلى موسم الحج في(مكّة). وقد تمت هذه البيعة قبل أشهر من هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، بعد هجرة المسلمين من أهل مكّة تدريجياً إليها قبل ذلك.

وقد كان مضمون هذه البيعة تعاقداً على تأسيس سلطة سياسية بما لهذه الكلمة من معنى مألوف، تحكم مجتمعاً سياسياً ملتزماً. وقد لاحظ النبي صلى الله عليه وآله، وممثّلو أهل(يثرب) أنّ هذا المجتمع وحكومته سيدخلان في عداوات سياسية وحروب مع قريش وغيرها بسبب المضمون العقائدي لهذا المجتمع.[1]

وقد أقامت هذه السلطة السياسية على أساس الإسلام نظاماً للحياة، وللمجتمع. وقد

---

١. *السيرة النبوية* لابن هشام: ٢/ ٥٢.

كانت بيعة العقبة الأولى قبل ذلك بعام قد تضمنّت إسلام المبايعين من أهل (يثرب)، والتزامهم بنشر الإسلام بين أهلها.

فكأنّ (بيعة العقبة الأُولى) تمثل الأساس ـ الأيديولوجي ـ العقائدي للبيعة الثانية، والمدخل إلى تكوين قاعدة أوليّة للإسلام في (يثرب)، تولّى مبعوث النبيﷺ (مصعب بن عمير) مع المبايعين إعدادها، ومثّلت (بيعة العقبة الثانية) التعبير السياسي ـ التنظيمي ـ لهذا المضمون.

وبالبيعة وما ترتب عليها من قرار بالهجرة إلى المدينة، وهجرة المسلمين المكيين إليها، ولد المجتمع السياسي الإسلامي على أساس عقائدي هوالإسلام، بما يقتضيه ذلك من التزام بالدعوة إليه، والدفاع عنه، وعن قيمه التي يجسّدها المنتمون إليه في المجتمع الجديد.

وقد ولد هذا المجتمع من اللحظة الأولى خارج حدود العرف الجاهلي، فقد حلّت المصالحة بين القبائل اليثربيّة المتحاربة.

وعبّر القرآن عن هذا الواقع الجديد بين هذه القبائل بتسمية تعبّر عن المضمون العقيدي لها الذي حلّ محل المضمون القبلي، وهي (الأنصار)،[١] أنصار الإسلام، أوأنصار النبيﷺ. وقد اندمجت هذه القبائل ـ بما تحمله من مضمون عقيدي جديد وعلى أساس هذا المضمون ـ بالمسلمين المكّيين الذين يحملون المضمون نفسه، وأعطاها القرآن إسماً عقيدياً مشتقاً من مضمونهم العقيدي بدل انتماءاتهم القبلية هو: (المهاجرون).[٢]

لقد اندمج الجميع في تكوين عقيدي ـ سياسي ـ مجتمعي واحد مختلف تماماً عن تحالفات الجاهلية. وإنّ كان هذا الاندماج بين هذه المجموعات في المشروع الإسلامي لم يلغ التنوّع القبلي، ولم يتم على حسابه، فقد بقيت التنوعات القبلية سائدة

---

١. سورة التوبة: ١٠١ و١١٨؛ سورة النور: ٢٢؛ سورة الحشر: ٨؛ سورة الممتحنة: ١٠.

٢. راجع: الآيات في المصدر السابق.

ومرعية، ولكن دون أنْ تشكل الزعامات القبلية مرجعاً، ودون أنْ يكون عرفها شريعة. لقد تحدَّد المرجع بالنبي، وانحصربه، وتحددت الشريعة بالإسلام. ولعل هذا كان أوّل تطبيق لمبدأ «التعارف ـ التعاون على البر والتقوى» الذي اعتبره الإسلام أَسَاسَاً في الاجتماع البشري.

وقد شكَّل النبي ﷺ أدوات هذه السلطة الجديدة في هذه المرحلة من تشكيل الدولة بنصب النقباء الإثني عشر (ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج) على الأوس والخزرج. وقد تَّم اختيارهم من قبل مجموعة (الأوس) و(الخزرج) أنفسهم في (العقبة الثانية)، ولم يفرضهم النبي ﷺ عليهم مع قدرته على ذلك، واستعداد القبيلتين لقبول ذلك منه ﷺ. ولعل هذا أوّل مظهر من مظاهر تطبيق مبدأ الشورى الإسلامي في القيادة والحكومة.

وقد انضمَّ هؤلاء النقباء إلى المبعوث الذي وجّهه النبي ﷺ إلى المدينة منذ (بيعة العقبة الأُولى)، وهو(مصعب بن عمير بن هاشم). وقد شكّلوا جميعاً نواة السلطة الجديدة في المدينة، قبيل هجرة النبي ﷺ إليها.

وولدت الدولة الإِسلامية والحكومة الإِسلامية بوصول النبي ﷺ إلى المدينة، حيث باشر على الفور مهمّات القيادة والحكم السياسي إلى جانب مهمّات الرسالة والنبوة، وهي التبليغ والإرشاد، وعلى أساس كونه نبيّاً رسولاً بالإسلام.

فكان من أوّل الأعمال التي قام بها ﷺ على المستوى التنظيمي العام، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار،[١] التي كان لها إلى جانب مضمونها الأَخلاقي مضمون حقوقي اقتصادي هوالتوارث بين المتآخين دون النسب والرحم. وقد نسخ هذا الحكم فيما بعد، وبقي المضمون الإيماني الذي يشتمل على البعد الأَخلاقي، والعاطفي.

---

١. *سيرة ابن هشام* ٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٧؛ *الطبقات الكبرى*: ١/ ٢٣٢؛ *تفسير الطبري*: ٦/ ٣٠ ـ ٤٠.

وأيضاً نظَّم ﷺ العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة باعتبارهم يشكّلون جميعاً مجتمعاً سياسياً واحداً متنوّعاً في انتمائه الديني وهذه أوّل تجربة سياسية في التاريخ من هذا النوع.[١] فوضع الصحيفة التي حدّدت بنودها العلاقات بين الطرفين، وحدّدت فيها الحقوق والواجبات لكلّ منهما، وعلى كلّ منهما تجاه الآخر، ونصّت بوضوح على أنّ الحاكمية العليا هي للنبي ﷺ.

ومضى النبي ﷺ يصنع المجتمع والدولة على عين الله تعالى، وعلى هدى الوحي. ولم يمض وقت طويل حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب المرحلة وحاجاتها، وتوزّعت المهمّات فيه تحت سلطة النبي ﷺ باعتباره القائد والحاكم الأعلى.

ملامح دولة الرسول ﷺ

ونعرض فيما يلي بعض ملامح، الوضع الحكومي والتنظيمي لدولة الرسول ﷺ، في ذلك الحين:

١. الإدارة

اهتمّ النبي ﷺ بالجهاز الإداري الحكومي للدولة في المدينة وما حولها، وعلى امتداد الرقعة الإسلامية التي كانت تتوسّع باستمرار نتيجة لنموالاستجابة للدعوة إلى الإسلام، وللانتصارات التي أحرزها المسلمون على قريش وغيرها في حروبهم الدفاعية.

وقد حكم ﷺ المدينة وما حولها بصورة مباشرة. وكان يستعين بأشخاص يكلّفهم بمهّام محدّدة، أويولّيهم مناصب معيّنة. وعيَّن العمال والممثلين الشخصيّين له في المناطق البعيدة عن المدينة (مكّة، والطائف، وصنعاء، وحضرموت، وغيرها)[٢]

---

١. *سيرة ابن هشام*: ٢/ ١١٩ ـ ١٢٣.

٢. كان عامله على الطائف (عثمان بن أبي العاص)، وعامله على مكّة (عتاب بن أسيد الأموي)، وكان

ولم تستبعد المرأة من تولّي العمل العام.

وكان إذا غاب عن المدينة، عيَّن خليفة له عليها، ينوب عنه.[1]

وكان من تولوا إمارة المدينة (سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبوسلمة بن عبدالأسد، وزيد بن حارثة، وأبولبابة، واستخلف علي بن أبي طالب عليه السلام في أخطر رحلاته ﷺ، وهي غزوة تبوك).

أيضاً أميراً على الحجّ، وعامله على صنعاء (المهاجر بن أبي أميّة)، وعامله على حضرموت (زياد بن لبيد الأنصاري البياضي) ـ راجع: *الإصابة*: ٥٤٠. وعامله على البحرين (العلاء بن الحضرمي) ـ [*سيرة ابن هشام*: ٢/ ٣٤٩؛ و*تاريخ الطبري*: ٢/ ٤٥٥] وأوّل راتب فرضه كان راتب (عتاب بن أسيد) عامله على مكّة. وكان درهماً واحداً في كلّ يوم [ـ*سيرة ابن هشام*: ٢/ ٥٠٠.] وولى (فروة بن مسيك المرادي) على مراد، وزبيد، ومذحج كلها، كما قال ابن هشام في *السيرة*. وولى (أباذان / بارزام) على اليمن، وكان والياً من قبل الفرس فأسلم، وولى النبي ﷺ إبنه مكانه بعد وفاته.

وفي المهمّات التي أسندت إلى المرأة، مهمّة التمريض، والعناية بالجرحي. فقد روى ابن هشام في السيرة النبويّة، وغيره،: أنّ النبي ﷺ قد نصب خيمة لإمرأة من قبيلة أسلم يُقال لها (رفيدة)، كانت تداوي الجرحى. وقال ﷺ حين أصيب (سعد بن معاذ) بالسهم في (الخندق): «إجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده عن قريب».

وذكر عن (أميّة بنت قيس الغفارية): خرجت زعيمة للآسيات (الممرّضات) ولمّا تبلغ السابعة عشرة من عمرها. وأمّ سليم، قال فيها (أنس): إنّ رسول الله ﷺ كان يغزو، ومعه أم سليم، ومعها نسوة من الأنصار يسقين الماء، ويداوين الجرحى. و(أمّ سنان الأسلمية)، قد اشتركت ممرّضة، في غزوة (خيبر). و(أمّ أيمن): حضرت (أحداً)، وكانت تسقي العطشى، وتداوي الجرحى. و(حمنة): وكان موقفها في (أُحد) مشهوداً، فقد كانت تغشى الموقعة، فتحمل الجريح، وتعود به حيث تأسوجراحه. و(الربيع بنت معوذ): وكانت تسقي القوم في الغزوات وتخدمهم، وتداوي الجرحى، وترد القتلى إلى المدينة. و(نسيبة بنت كعب المازنية): اشتركت في غزوة (بدر)، فعملت آسية، تضمّد الجراح لمن جرح، كما خرجت وشاركت في ذلك يوم (أُحد) أيضاً. راجع: [*أعلام النساء* ـ عمر رضا كحالة. و*الطب عند العرب*. د. أحمد الشطيّ].

١. راجع *السيرة النبوية* لابن هشام ٢/ ٢٢٠ـ٢٣٠.

٢. الجباية المالية، والضرائب، والاقتصاد

عيّن ﷺ الجباة (عمّال الصدقات) لجباية الزكاة، فكانوا يقومون بقبض الزكاة. وعيّن مسؤولين عن (إبل الصَّدقة) واهتم بسلامة الخيل المعدّة للجهاد، وحمى لها الحمى (المراعي الخاصّة).[1] وكان بعض المكلّفين بالجباية مقيمين في مناطقهم وقبائلهم، وبعضهم كان يرسل من المدينة لقيام بهذه المهمّة كما هوالظاهر من صحيح (عبدالله بن سنان)، عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان فرض الزكاة لمّا نزلت آية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾[2] في شهر رمضان، قال: «..ثم وجّه عمال الصدقة وعمال الطسوق»[3] كما أنه أخذ خمس الغنائم الذي هوضريبة الدولة على غنائم الحرب والأموال المصادرة من الأعداء المحاربين. وجبى الجزية ممّن صالحهم من أهل الكتاب كـ(أهل نجران)، و(أهل البحرين) الذين أرسل إليهم (أبا عبيدة بن الجراح)، و(معاذ ابن جبل) أرسله إلى (اليمن). كما تولّى مهمّة استيفاء الأموال (الجزية، والزكاة) من العمال، الإمام علي بن أبيطالب في (اليمن) و(نجران).

---

١. روى (البخاري)، عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ حمى (النقيع) لخيل المسلمين. والنقيع موضع على عشرين فرسخاً من المدينة، وهوصدر (وادي العقيق)، وهوأخصب وادٍ هناك.

٢. التوبة: ١٠٣.

٣. *الوسائل*: ٦ (مايجب فيه الزكاة) الباب: ٨ ح ١ قال ابن هشام في *السيرة النبويّة*: (إنّ رسول الله ﷺ كان يبعث أمراءه وعمّالهُ على الصدقات إلى محل ماأوطأ الإسلام من البلدان) وقد ولىّ ﷺ على جباية الزكاة وغيرها (عدي بن حاتم) على بني أسد من طيء و(مالك بن نويرة) على بني حنظلة، و(الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم) على بني سعد، و(سعد بن معاذ) على اليمن، و(بلالاً) على صدقات الثمار في المدينة، و(عبادة بن بشر) على بني المصطلق، و(الأقرع بن حابس) على بني دارم، و(عيينة بن حصن) على بني فزارة، و(الحارث بن عوف) على بني مرّة، و(نعيم بن مسعود) على أشجع، و(العباس بن مرداس) على بني سليم، و(زياد الباهلي والد الهرماس) ولاه النبي ﷺ على عشيرته من باهلة [*الإصابة* ١: ٥٤١]. وذكر (ابن هشام) في *السيرة* أنّ رسول الله ﷺ ولى (خالد بن سعيد بن العاص على صدقات (مراد) و(زبيد) و(مِذحج).

وكان من المعلوم أنّ هذا المال(مال عام) ينفق على أنشطة الدولة الدفاعية والاجتماعية، وليس ملكاً خاصاً للنبي. ونشأ مصطلح (مال الله) للدلالة على أنّ أموال الضرائب هي أموال عامّة تملكها الأمّة، وتديرها وتنفقها الحكومة.

وتصدّى النبيﷺ لظاهرة الاحتكار والمحتكرين مراراً عديدة.[1]

٣. الدعوة

خصّصﷺ جماعة من الصحابة لكتابة الوحي القرآني، وكتابة الرسائل، والترجمة، وجعل مركزاً لتعليم القرآن في المدينة وهي (الصفّة) في مدخل المسجد النبوي، وكان ممن تولى الإقراء فيها (عبادة بن الصامت)، وسماها الواقدي: (دار القرّاء).

وكان النبيﷺ يتولى بنفسه مهمّات الدعوة والتبليغ في المدينة بصورة ثابتة، وحيث حلّ في خارجها إذا غزا. وأمّا في خارج المدينة فقد عيّن الدعاة والمبلّغين، فكان يرسل من أعيان الصحابة أشخاصاً إلى القبائل والمدن الأخرى، يقومون بمهمّات التبليغ والدعوة إلى الإسلام، وتعليم القرآن.

وكان من مبعوثيه للدعوة وتعليم القرآن،(مصعب بن عمير) أرسله إلى المدينة قبل الهجرة، و(معاذ بن جبل)أرسلهﷺ إلى أهل مكّة، و(عمر بن حزم الحضرمي) إلى أهل (نجران)، وكانت (الشفاء بنت عبدالله / أمّ سليمان) تعلّم النساء القراءة والكتابة، كما روى ذلك (أبوالدرداء).

٤. القضاء

تولّى النبيﷺ في المدينة مسؤولية القضاء بين الناس في جميع ماكانوا فيه

---

١. *الاحتكار في الشريعة الإسلامية*، للشيخ محمد مهدي شمس الدين. للاطلاع على نصوص الاحتكار ومصادرها.

يختلفون من شؤون عائلية، ومالية، وجرائم قتل، واعتداء. ونفّذ العقوبات، والتعزيرات، والحدود في المجرمين، كما تولّى القضاء في المدينة واليمن علي بن أبي‌طالب. ومن الذين تولّوا القضاء (معاذ بن جبل) و(معاذ بن نوفل) و(أبوموسى الأشعري) في اليمن، و(راشد بن عبدالله).

وعيّن القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فكان يرسل إليها بعض فقهاء الصحابة ليتولوا مهمّة القضاء بين الناس، ومن ذلك إرساله علياًعليه السلام إلى اليمن.

٥. قضايا الدفاع

في المسألة العسكرية نظّم النبيصلى الله عليه وآله المدينة على أساس عسكري، وكونّ من شعبها مجتمع حرب، فقسّم المسلمين في المدينة إلى عرافات، وجعل على كلّ عشرة عريفاً.[١]

وجعل من جميع الذكور البالغين جنوداً، وكوّن منهم الجيوش وقادها إلى المعارك، وخاض الحروب الدفاعية كلّها، وعيّن القادة وأمراء السرايا، وأرسلهم في مهمّات عسكرية واستطلاعية. واعتمد في تقدير القوّة العسكرية على الإحصاء فقد روى (البخاري)، عن (حذيفة بن اليمان)، أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل». ويبدوأنّ ماعرف بعد بـ(الديوان / أو/ ديوان الجُنْد) وضعت نواته في عهد النبيصلى الله عليه وآله.

كما يبدوأنّ سجلات الجند (الذكور البالغين) كانت تراجع باستمرار ليضاف إليها كلّ من بلغوا خمس عشرة سنة كما تدل على ذلك رواية (الترمذي) عن (ابن عمر)،

---

١. *الطبري*: ٤/ ١٥٨. وفي رواية (البخاري) في شأن سبي (هوازن) وردّه عليهم بعد أن وزع فَيْءَ المسلمين، قالصلى الله عليه وآله: «...إنّا لاندري من أذن لكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فكلمهم عرفاؤهم...».

أورواية (ابن عبدالبرّ) في *الاستيعاب*، عن (سمرة بن جندب).

وأوْلى عناية خاصّة بمسألة توفير السلاح الذي تملكه الدولة، فكان يشتري السلاح، ويستعيره، ويستأجره.

٦. المسألة الاجتماعية

لم يقتصر الأمر في المسألة الاجتماعية على التوعية الإنسانية والموعظة وتربية المسلمين على خُلُق البرّ والإحسان فقط، وإنّما عمل وفقاً للتشريع الإسلامي على ايجاد مجتمع الكفاية والعدل، وخصّص ﷺ جزءاً من الأموال العامّة للإنفاق على الأيتام، والمعوزين، والعاجزين عن العمل، بعد أنْ جعل من العمل واجباً وشرفاً.

وغيّر ﷺ وضع المرأة فرفع من شأنها المعنوي، وموقعها في المجتمع بما هي إنسانة.

ووضع الأسس ـ وفقاً للتشريع الإسلامي ـ التي رفعت من المستوى الإنساني الاجتماعي للرقيق. ووضع التشريعات المرحلية إلى إلغاء الرق.

٧. العلاقات الخارجية

وضع النبي ﷺ أسس العلاقات الخارجية مع القبائل والدول الأخرى. فأنشأ علاقات مع نصارى (نجران) وبعض القبائل الأخرى. وأوفد السفراء إلى الدول الأجنبية (مصر، وفارس، وبيزنطية، والغساسنة) وغيرهم. وعقد المعاهدات، وهادن بعض الجماعات والقبائل، ورفض الهدنة مع البعض الآخر.

وعامل الخارج المسلم على الأساس الذي ذكرناه سابقاً، فجعل الهجرة إلى (دار الإسلام) واجباً على كلّ مسلم مقيم خارج (دار الإسلام).[١]

---

١. في *الاجتماع السياسي الاسلامي*: ١٥٩ ـ ١٦٩.

خلاصة الدرس

١. كل الأنشطة السياسية الداخلية، والخارجية، والعسكرية، والقضائية، والتعليمية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، مارسها النبيﷺ بنفسه باعتباره قائداً وحاكماً على أساس الشريعة الإسلامية، وبسلطة مستمدّة من كونه نبيّاً رسولاً، كما أعطى ـ بصفته هذه ـ سلطة القيام ببعض هذه المسؤوليات لأشخاص آخرين باعتبارهم نوّاباً عنه، ووكلاء له، وممثلين ومعاونين له، في القيام بمسؤوليات الحكم.

٢. وبهذه الأنشطة أنشأ دولة على أساس الإسلام، عقيدة أوشريعة، ونظّم حياة الإنسان المسلم ـ فرداً، وأسرةً، وجماعةً، ومجتمعاً ـ فيها على هدى التشريع الإسلامي. وحكم هذه الدولة وقادها طيلة حياته الشريفة.

٣. سلك المسلمون فيما بينهم ـ جماعات وقبائلَ وأفراداً، ومع النبيﷺ، مسلك أنهم يعيشون ويعملون في مجتمع سياسي عليه التزامات تجاه نفسه، وتجاه المجتمعات الأُخرى، ومسؤوليات كذلك، وأنّهم من الناحية السياسية لم يعودوا إلى ماكانوا عليه في نظامهم الذي كان سائداً بينهم. وأنهم يعيشون ويعملون في دولة وتحت سلطة حكومة برئاسة وقيادة النبيﷺ. وأنّ النبيﷺ قائدهم وحاكمهم. وأنّ عليهم ـ لذلك ـ واجب الطاعة له فيما يأمر به وينهى عنه. وأنّه ليس مجرد نبي يبلّغ الأحكام فقط، ويترك الناس وشأنهم فيما يشاؤون وكما يشاؤون.

٤. كان النبيﷺ يبلّغ المسلمين بالوحي القرآني ـ مايرد فيه من تشريع وغيره ـ وكانوا يتعلّمون هذا الوحي ويفهمونه، وفيه زجرهم عن أشياء، وأفعال، وأقوال، ومواقف، وأمرهم بأشياء، وأفعال، وأقوال، ومواقف، وفيه أوامر الطاعة للرسول فيما يأمر به.

الأسئلة

١. كيف ومتى تكوّنت النواة الأُولى لدولة الرسولﷺ؟

٢. ما هي الفوارق المضمونية بين بيعة العقبة الأُولى والثانية؟

٣. ما هي المهمّات القيادية التي باشرها النبي صلى الله عليه وآله فور وصوله إلى يثرب؟

٤. ما هي الملامح العامّة لدولة الرسول صلى الله عليه وآله؟

٥. ما هي خصائص الجهاز الإداري والاقتصادي لدولة الرسول صلى الله عليه وآله.

٦. ما هي خصائص جهاز الدعوة والتبليغ في دولة الرسول صلى الله عليه وآله؟

٧. ما هي خصائص كلٍّ من (القضاء) و (الدفاع) و (العلاقات الخارجية) في دولة الرسول صلى الله عليه وآله؟



فهرس المصادر و المراجع التاريخيه

القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، هبة الله محمّد بن محمّد بن الحسين (ت٦٥٦ ه)، شرح *نهج البلاغة*، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، بيروت.

٢. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمّد (ت٢٣٥ ه)، *المصنّف لابن أبي شيبة*، دار الفكر، ط ١، بيروت.

٣. ابن اسحق، أبوعبدالله، محمّد بن إسحاق المطلّبي (ت١٥١ه)، *سيرة النبيّ (سيرة ابن هشام)*، تعليق وتحقيق: محمّد محيي الدين، نشر: مكتبة الصبيح أولاده، ط ١، ١٣٨٣ه، القاهرة.

٤. ابن الأثير، أبوالحسن، عليّ بن محمّد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ ه)، *الكامل في التاريخ*، دار الفكر، ط ٢، بيروت.

٥. ابن الأثير، المبارك بن محمّد الشيباني (ت٦٠٦ ه)، *النهاية في غريب الحديث*، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٦٤، ط ٤، قم.

٦. ابن الأثير، عزّ الدين محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠ ه)، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، نشر: إسماعيليان، ط ١، طهران.

٧. ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي الشهير (ابن البطريق) (ت ٦٠٠ ه)، *عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار*، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم.

٨. ابن الجعد، عليّ بن الجعد الجوهري (ت ٢٣٠ ه)، *مسند ابن الجعد*، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.

٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ (ت٥٩٧ ه)، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت .

١٠. ابن الحجّاج، جمال الدين، بن الحجاج بن يوسف المزّي (ت ٧٤٢ هـ)، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، مؤسسة الرسالة، ط ٤، بيروت.

١١. ابن الصباغ، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي، المعروف بابن الصبّاغ (ت ٨٥٥ هـ)، *الفصول المهمّة في معرفة الأئمة*، دار الأضواء، ط ٢، بيروت.

١٢. ابن جرير، أبو جعفر، محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، *دلائل الإمامة*، مؤسسة البعثة، ط ١، قم.

١٣. ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، *مسند أحمد*، دار صادر، ط ١، بيروت.

١٤. ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ)، *الطبقات الكبرى*، دار الفكر، بيروت.

١٥. ابن شاذان، شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمّي (ت ٦٦٠هـ)، *الفضائل*، المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٣٨١ هـ، بيروت.

١٦. ابن شبّه، أبو زيد، عمر بن شبّة النميري (ت ٢٦٢ هـ)، *تاريخ المدينة المنوّرة*، دار الفكر ط ١، بيروت.

١٧. ابن طاووس، رضي الدين، عليّ بن موسى (ت ٦٦٤هـ)، *سعد السعود للنفوس*، المكتبة الحيدرية، ط ١، النجف الأشرف.

١٨. ابن طاووس، رضي الدين، عليّ بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ هـ)، *إقبال الأعمال*، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١.

١٩. ابن طاووس، عليّ بن موسى (ت ٦٦٤ هـ)، *الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف*، مطبعة الخيام، ط ١، ١٣٧١ ش، قم.

٢٠. ابن عساكر، أبوالقاسم، عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، *تاريخ مدينة دمشق*، دار الفكر، ط ١، بيروت.

٢١. ابن فهد، أحمد بن فهد الحلّي (ت ٨٤١ هـ)، *عدّة الداعي ونجاح الساعي*، مكتبة الوجدان، ط ١، بيروت.

٢٢. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي، الدمشقي الشافعي، (ت ٧٧٤ هـ)، *السيرة النبوية*، دار المعرفة، ط ٢، بيروت.

٢٣.ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، *البداية والنهاية*، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت.

٢٤.ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، دار المعرفة، ط ١، بيروت.

٢٥.ابن ماجة، أبو عبدالله، محمّد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣ هـ)، *سنن ابن ماجة*، دار الفكر، ط ١، بيروت.

٢٦.ابن منظور، محمّد بن مكرّم (ت ٧١١ هـ)، *مختصر تاريخ دمشق*، دار الفكر، ط ١، دمشق.

٢٧.ابن هشام، أبو محمّد، عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري (ت ٢١٨هـ)، *السيرة النبوية*، دار الوفاق، ط ١، بيروت.

٢٨.أبوالفتح، ابن سيّد الناس، محمّد بن محمّد (ت ٧٣٤ هـ)، *عيون الأثر*، مؤسسة عزّ الدين، ط ١، ١٤٠٦ هـ، بيروت.

٢٩. أبوعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، *المصنف*، المجلس العلمي، ط ١.

٣٠. أبوعبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ)، *معجم البلدان*، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت.

٣١.الإربلي، عليّ بن عيسى (ت ٦٩٢ هـ)، *كشف الغمّة في معرفة الأئمة*، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

٣٢.الأصفهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ)، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، دار الكتاب العربي، ط ٥، بيروت.

٣٣.الأصفهاني، أبوالفرج، عليّ بن الحسين بن محمّد الأُموي (ت ٣٥٦ هـ)، *مقاتل الطالبين*، مؤسسة دار الكتاب، ط ٢، قم.

٣٤.الأمين، السيّد محسن (ت ١٣٧١ هـ)، *أعيان الشيعة*، دار التعارف، بيروت.

٣٥.الأميني، عبدالحسين أحمد الأميني النجفي التبريزي (ت ١٣٩١ هـ)، *الغدير في الكتاب والسنّة*، دار الكتب الإسلامية، طهران، تحقيق ونشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ١، قم.

٣٦.*إنجيل يوحنا*.

٣٧.البحراني، السيّد هاشم بن سليمان الكتكاني (ت ١١٠٧هـ)، *حلية الأبرار*، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١، قم.

٣٨. البخاري، محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦ ه)، *الأدب المفرد*، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط٣، ١٤٠٣ هـ

٣٩. البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت٢٥٦ ه)، *التاريخ الكبير*، المكتبة الإسلامية ط١ ديار بكر، تركيا.

٤٠. البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت٢٥٦ ه)، *صحيح البخاري*، دار الفكر، ١٤٠١ هـ، و دار القلم، ط١، ١٤٠٣ ه، بيروت.

٤١. البغدادي، أبو بكر، أحمد بن عليّ الخطيب (ت٤٦٣ ه)، *تاريخ بغداد*، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٤٢. البلخي، أحمد بن سهل (ت ٣٤٠ ه)، *البدء والتاريخ*.

٤٣. البهائي، محمّد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي، الشهيد بالشيخ البهائي، (ت ١٠٣١ ه)، *الحبل المتين (رسائل الشيخ البهائي)*، مكتبة بصيرتي، ط حجري، قم.

٤٤. البياضي، عليّ بن يونس العاملي النباطي (ت٨٧٧ ه)، *الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم*.

٤٥. البيضاوي، القاضي، عبدالله بن عمر بن محمّد بن عليّ (ت٩٧١ ه)، *تفسير البيضاوي*، دار الفكر، بيروت.

٤٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن (ت٤٥٨ ه)، *السنن الكبرى*، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٤٧. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ ه)، *دلائل النبوّة*، دار الكتب العلمية ط١، بيروت.

٤٨. الترمذي، محمّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩ ه)، *الجامع الصحيح (سنن الترمذي)*، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣ ه، بيروت.

٤٩. التستري، القاضي نور الله (ت١٠١٩ ه)، تعليق: السيد المرعشي النجفي، *الحقّ وإزهاق الباطل*، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٥٠. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام (ت٤٢٧ أو ٤٣٧ ه)، *تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)*، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

٥١. الحرّاني، أبو محمّد، الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة (من علماء القرن الرابع)، *تحف العقول*، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم.

٥٢. الحلبي، علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤ ه)، *السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون)*، دار إحياء التراث العربي، ط حجرية، بيروت.

٥٣.الحلّي، الحسن بن يوسف بن عليّ المطهر (ت٧٢٦ هـ)، *كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين*عليه السلام، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط٢، طهران.

٥٤.الحويزي، عبد عليّ بن جمعة العروسي (ت١١١٢هـ)، *تفسير نور الثقلين*، مؤسسة إسماعيليان، ط١، قم.

٥٥.الخزار القمي، أبوالقاسم، عليّ بن محمّد بن عليّ (ت٤٠٠ هـ)، *كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثنى عشر*، انتشارات بيدار، ط١، قم.

٥٦.الدارقطني، أبو الحسن، عليّ بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥ هـ)، *العلل الواردة في الأحاديث النبويّة*، دار طيبة، ط١، الرياض.

٥٧.دحلان، أحمد بن زيني (ت١٣٠٤ هـ)، *السيرة النبوية*، دار إحياء التراث العربي، طحجرية، بيروت.

٥٨.الرازي، محمّد بن عمر فخر الدين (ت٦٠٦ هـ)، *تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (التفسير الكبير)*، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت.

٥٩.الراوندي، أبو الحسين، سعيد بن عبدالله، المعروف بقطب الدين الراوندي (ت٥٧٣ هـ)، *الخرائج والجرائح*، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، قم.

٦٠.الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبةالله الراوندي (ت٥٧٣ هـ)، *قصص الأنبياء*، تعليق: غلام‌رضا عرفانيان، نشر: دارالهادي ١٤١٨ هـ، ط١، قم.

٦١.الراوندي، قطب الدين، سعيد بن عبدالله الراوندي (ت٥٧٣ هـ)، *الدعوات*، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، قم.

٦٢.الزرندي، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد (ت٧٥٠ هـ)، *نظم درر السمطين في فضائل المصطفى*صلى الله عليه وآله *والمرتضى والبتول والسبطين*عليهم السلام، من مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، ٣٧٧ هـ، النجف الأشرف.

٦٣.الزمخشري، محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد (ت٥٣٨ هـ)، *الفائق في غريب الحديث*، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٦٤.الزين، عبدالمنعم، *أشعة البيت النبوي*، نشر: دار الزهراء للإعلام العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٥.السيباني، أحمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ)، *فضائل الصحابة*، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٦٦.السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١ هـ)، *الجامع الصغير*، دار الفكر، ط١، بيروت.

٦٧. السيوطي، عبدالرحمن، أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، *الدرّ المنثور في التفسير المأثور*، دار المعرفة، ط ١، ١٣٦٥ هـ، جدّة.

٦٨. الشريف الرضي، جمع وترتيب الشريف أبوالحسن، محمد بن الحسين الموسوي، (ت ٤٠٦هـ)، *نهج البلاغة*، دار الثقلين، ط ١، قم.

٦٩. الشريف الرضي، محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي (ت ٤٠٦ هـ)، *خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)*، مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، مشهد.

٧٠. شمس‌الدين، محمّد مهدي، *حركة التاريخ عند الإمام عليّ عليه السلام*، بنياد نهج البلاغة، قم.

٧١. الشهرستاني، محمّد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ)، *الملل والنحل*، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ١، ودار المعرفة، بيروت.

٧٢. الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحّاك ابن مخلّد (ت ٢٨٧ هـ)، *المسند الكبير (كتاب السنّة)*.

٧٣. الشيرازي، السيد حسن بن مهدي الحسيني، *كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله*، ط بيروت.

٧٤. الصالحي، محمّد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ)، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.

٧٥. الصدر، السيد محمد باقر بن السيد اسماعيل الصدر الشهيد (ت ١٤٠٠هـ)، *أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف*، دارالتعارف، بيروت.

٧٦. الصدر، رضا، *محمّد في القرآن*، دار الأرقم، ط ١، ١٤١١ هـ.

٧٧. الصدوق، أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن الحسين الشهير الصدوق (هـ٣٨١ هـ)، *كمال الدين وتمام النعمة*.

٧٨. الصدوق، أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابوية القمي (ت ٣٨١هـ)، *من لا يحضره الفقيه*، دار الأضواء، ط ٦، بيرت.

٧٩. الصدوق، أبوجعفر، محمّد بن عليّ بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)، *الخصال*، انتشارات جامعة مدرسين، ط ١، قم.

٨٠. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي الملقب بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، *علل الشرائع*، المكتبة الحيدرية، ط ١ (١٣٨٦ هـ)، النجف الأشرف.

٨١ الصفّار، أبو جعفر، محمّد بن الحسن الصفّار القمي (ت ٢٩٠ هـ)، *بصائر الدرجات*، مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت.

٨٢ الصفدي، صلاح الدين، خليل بن إيبك بن عبدالله (ت ٧٦٤ هـ)، *الوافي بالوفيات*، دار النشر فرانز شتايز، شتوتغات، ط ٢.

٨٣ الضحّاك، عمرو بن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، *كتاب السنّة (المسند الكبير)*، المكتب الإعلامي، ط ٣، بيروت.

٨٤ الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، *المعجم الأوسط (الوسيط)*، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ، السعودية.

٨٥ الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، *المعجم الكبير*، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت.

٨٦ الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي (ت ٣٦٠ هـ)، *المعجم الصغير*، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت.

٨٧ الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ أو ٥٦٠ هـ)، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت.

٨٨ الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ هـ)، *تاج المواليد بمواليد الأئمه و وفياتهم (مجموعة نفيسة)*، مكتبة آية الله المرعشي، ط ١، قم.

٨٩ الطبرسي، أبو عليّ، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ هـ)، *إعلام الورى بأعلام الهدى*، مؤسسة آل البيت، ط ١، قم.

٩٠. الطبرسي، أبو منصور، أحمد بن عليّ بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس الهجري)، *الاحتجاج*، انتشارات أسوة، قم، ط ١.

٩١. الطبرسي، أبو نصر الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ)، *مكارم الأخلاق*، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم.

٩٢. الطبري، أبو جعفر، محمّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، *تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)*، مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت.

٩٣. الطبري، أبو جعفر، محمّد بن عليّ (ت ٥٢٥هـ)، *بشارة المصطفى*، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤٢٠، قم.

٩٤. الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، *أمالي الطوسي*، دار الثقافة، ط ١، قم.

٩٥. الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، *التبيان في تفسير القرآن*، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم.

٩٦. الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، *مصباح المتهجّد*، مؤسسة فقه الشيعة، ط١، بيروت.

٩٧. الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، *تهذيب الأحكام*، دار الكتب الإسلامية، ط٤.

٩٨. الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١ هـ)، *أمالي الصدوق*، مؤسسة البعثة، ط١، قم.

٩٩. العاملي، السيّد جعفر مرتضى (معاصر)، *الصحيح من سيرة النبيّ*، دار الهادي، ط٤، بيروت.

١٠٠. العاملي، زين الدين الجبعي العاملي (ت٩٦٥ هـ)، *أسرار الصلاة (رسائل الشهيد الثاني)*، مكتبة بصيرتي، قم.

١٠١. العاملي، محمّد بن الحسن الشهيد بالحرّ (ت١١٠٤ هـ)، *وسائل الشيعة*، مؤسسة آل البيت، ط٢، قم.

١٠٢. العسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر (ت٨٥٢ هـ)، *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، دار المعرفة، ط١، بيروت.

١٠٣. العصامي، عبدالملك بن حسين (ت١١١ هـ)، *سمط النجوم العوالي*، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

١٠٤. العياشي، أبو نضر، محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي (ت٣٢٠ هـ)، *تفسير العيّاشي*، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

١٠٥. الفتال النيسابوري، محمّد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨ هـ)، *روضة الواعظين*، منشورات الشريف الرضي، ط٣، قم.

١٠٦. الفراهيدي، أبو عبدالرحمن، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، *كتاب العين*.

١٠٧. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (ت٣٦٣ هـ)، *دعائم الإسلام*، دار التعارف، ط١، أوفست إيران.

١٠٨. القرشي، محمّد بن يوسف بن محمّد (ت٦٥٨ هـ)، *البيان في أخبار صاحب الزمان*.

١٠٩. القرطبي، يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي (ت٤٦٣ هـ)، *الاستيعاب في أسماء الأصحاب*، دار الكتب العلمية، ط ١ ، بيروت.

١١٠.القمي، أبو الحسن، عليّ بن إبراهيم (ت٣٢٩ هـ)، *تفسير القمي*، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، قم.

١١١. القمّي، أبوالحسن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت٣٢٩ هـ)، *الإمامة والتبصرة*، مؤسسة المهدي عليه السلام، ط ١، قم.

١١٢. القندوزي، سليمان بن إبراهيم (ت١٢٩٤هـ)، *ينابيع المودة لذوي القربى*، دار الأسوة، ط ١، قم.

١١٣. الكاشاني، محسن الفيض (ت١٠٩١ هـ)، *تفسير الصافي*، مؤسسة الهادي، ط٢، قم.

١١٤. الكاشاني، محمّد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، *المحجة البيضاء*، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم.

١١٥.الكراجكي، محمّد بن عليّ بن عثمان (ت٤٤٩هـ)، *كنز الفوائد*، مكتبة المصطفوي، ط٢، قم.

١١٦.الكليني، أبو جعفر، محمّد بن يعقوب (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، *الكافي*، دار الأضواء، ط ١، بيروت.

١١٧. الكوفي، محمّد بن سليمان (ت ٣٠٠ هـ)، *مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب*، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، قم.

١١٨. لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ طهران، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، *سيرة رسول الله وأهل بيته*، قم.

١١٩. المجلسي، العلامة محمّد باقر بن محمدتقي (ت١١١١ هـ)، *بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت.

١٢٠. المسعودي، أبوالحسن، عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦ هـ)، *مروج الذهب*، دار الفكر، ط ١، بيروت، ودار الهجرة، ط٢، قم.

١٢١.مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيشابوري (ت٢٦١هـ)، *صحيح مسلم*، دارالفكر، ط ١، بيروت.

١٢٢. المفيد، أبو عبدالله، محمّد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ)، *أمالي المفيد*، دار المفيد، ط٢ بيروت.

١٢٣. المفيد، أبو عبدالله، محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣ هـ)، *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد*، مؤسسة آل البيت، ط ١، قم.

١٢٤. المفيد، أبوعبدالله، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣ هـ)، *المقنعة*، جامعة المدرسين، ط ١، قم.

١٢٥. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان (ت٤١٣ هـ)، *مسار الشيعة*، دار المفيد، ط ٢، بيروت.

١٢٦. المقريزي، تقي الدين، أحمد بن عليّ بن عبدالقادر (ت٨٤٥ هـ)، *إمتاع الأسماع*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

١٢٧. *المناقب*، الموفق بن أحمد بن محم.

١٢٨. المنسوب إلى الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠ هـ)، *تفسير الإمام العسكري*، مدرسة الإمام المهدي، ط ١، ١٤٠٩ هـ، قم.

١٢٩. الميانجي، عليّ بن لحسين عليّ الأحمدي (معاصر)، *مكاتيب الرسول*.

١٣٠. النجاشي، أبو العبّاس، أحمد بن عليّ (ت ٤٥٠ هـ)، *رجال النجاشي*، مؤسسة النشر الإسلامي ط ٥، قم.

١٣١. النسائي، أحمد بن شعيب (ت٣٠٣ هـ)، *خصائص أمير المؤمنين* عليه السلام، مكتبة نينوى الحديثة، ط ١، طهران.

١٣٢. النسائي، أحمد بن شعيب (ت٣٠٣ هـ)، *سنن النسائي*، دار الفكر، ط ١، بيروت.

١٣٣. النعماني، محمّد إبراهيم (ت ٣٨٠ هـ)، *الغيبة*، مكتبة الصدوق، ط ١، طهران.

١٣٤. النووي، محيي الدين، يحيى بن شرف الشافعي (ت٦٧٦ هـ)، *رياض الصالحين*، دار الفكر، ط ٢، بيروت.

١٣٥. النووي، يحيى بن شرف الدمشقي (ت٦٧٦ هـ)، *الأذكار النووية*، نشر: دار الفكر، ط ١٤١٤هـ، بيروت.

١٣٦. النيسابوري، أبو الحسن، عليّ بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، *أسباب النزول*، نشر: مؤسسة الحلبي القاهرة، ١٣٨٨ هـ.

١٣٧. النيسابوري، أبو عبدالله، محمّد بن محمّد الحاكم (ت٤٠٥ هـ)، *المستدرك على الصحيحين*، دار المعرفة، ط ١، بيروت.

١٣٨. هاشم معروف الحسني (ت ١٤٠٤ هـ)، *سيرة المصطفى*.

١٣٩. الهندي، عليّ المتّقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)، *كنز العمّال*، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ، بيروت.

١٤٠. الهيثمي، نور الدين، عليّ بن أبي بكر (ه٨٠٧ ه)*مجمع الزوائد و منبع الفوائد*، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨ ه، بيروت.

١٤١. الواقدي، أبو عبدالله محمّد بن عمر بن واقد الوفى (ت٢٠٧ ه)*المغازي*، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط١، بيروت.

١٤٢. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤ ه)، *تاريخ اليعقوبي*، مؤسسة الأعلمي، ط١، بيروت.